

مصطفى محمود

عصر القزود

الطبعة الخامسة



دار المعارف

المرأة السكس

المرأة «السكس» ترجمتها في قاموسنا العربي.. المرأة المرغوبة المرأة المشتهاة من الرجل. ووسائل «السكس» في تصور المرأة العصرية.. هي قلم روج وقلم كحل وباروكة وكورسيه وأظافر مخضبة ورموش ملصوقة وسوستة تحت الثدي تدفع بحلمته كالمدفع إلى الإمام.. وخط أخضر فوق الحاجب وخط أزرق تحت العين، وكعب نص متر وفخذ مكشوف.. ولا بأس من لفت النظر إلى الفخذ العريان بالاستعانة بجورب ملون مزركش.. وعلى الترنزي أن يعتنى بإظهار استدارة الردف وتكويرة «الهانش».. والهانش هو مؤخرة المرأة في لغة الترنزية المهدبة كما تعلموها من

الزبونات المثقفات.. وعلى التريزى أن يكون كريماً فى
الفتحات المختلفة التى يجعلها عند الصدر والظهر والإبطيين
بحيث يكظ اللحم الأبيض المعطر منها بكمية كافية.. وإذا
كان الفستان سهرة فلا أقل أن تصل فتحة الصدر إلى
السرة من الأمام، وإذا قررت المرأة أن تكون حشمة من
الأمام فعليه أن يفهم لغة السيم، فيعزى الخلف أو ينزل
بفتحة الشباك الخلفى إلى الهانش بحيث يكشف الظهر كله
فى سخاء.. أما عند الإبطيين فيحسن أن تكون الفتحات
بحيث ينصب منها الثدي كله، فتضع منه العيون فى كل
حركة بدون تكلف.. فإذا آثرت المرأة بهدف العفة أن تغطى
البطن لأسباب الحمل وخلافه، فيجب على التريزى أن
يكون ذكياً ويضع على مكان السرة نجمة أو وردة، أو حلية
أو مجموعة فصوص من اللؤلؤ لتقول للعيون.. توقفوا هنا
لحظة.. فهنا بقعة لها دلالتها.. لا يصح أن تمر بها العين.. فإذا
كان الرجل أعمى، أو يضع على عينيه نظارة «قعر كباية»
فلا بأس من الوصول إليه من خلال خياشيمه، فتدلق
المرأة البارفان فى جميع فتحات الفستان.. وإذا كانت المرأة
من النوع الوقور جداً كأن تكون زعيمة نسائية، أو رئيسة
جمعية للخير، فيمكن أن تستبدل العرى بالشيفون
الشفاف.. فتمشى كاسية من الرأس إلى القدم، وفى نفس
الوقت لا تحرم العين المشتاقة من الكور الرجراجة والتلال

والأهرامات، والثنيات والمطبات من تحت السيلوفان الشفاف.

ولا يبقى بعد ذلك لاستكمال «السكس» سوى نظرة نعسانة، ونبرة سهتانة وخطوة متعثرة وسلوك عذري خجول يعاتب العيون الجريئة الزانية المقتحمة، وكأنه يقول لكل رجل.. اخص عليك..

ولا بأس من بضع كلمات فرنسية هنا وهناك، كرتوش ختامية للصورة.

هذه هي المرأة السكس في التصور العصري. ومثل هذه المرأة المصنوعة إذا وضعت رأسها تحت الحنفية، أو تصيب عليها العرق في يوم قائف ليمحو الطلاء والزخارف سوف تتحول إلى امرأة أخرى.. ولو نجحت بإغرائها إلى حملك إلى الفراش.. ثم بدأت تخلع الباروك والرموش والكورسيه والسوتيان والمساند والسوست، وربما طقم الأسنان والنهود والكاوتش والعين الصناعية، فسوف تلقى بنفسك من النافذة وتهرب بجلدك من الشغت والكرشة المتبقية.

ثم دعونا نفكر معاً في هدوء.. في هذا الفهم العصري لمعنى الأنوثة.. هل هو تقدم في تصور الأنوثة أم تأخر. ولا شك أن.. أمهاتنا الرجعيات من الجيل القديم، قد

فهمن الأنوثة فهماً أكثر تقدماً من حفيداتهن المودرن المثقفات.

فالمرأة العصرية في الحقيقة لم تتقدم بالبيت، وإنما على العكس رجعت به إلى الورا خطوتين ليكون بيت دعارة.. وامتهنت جسمها وأنوثتها، فعرضتها كسلعة في فاترينة العيون.. وتصرفت على عكس ما تدعى وعلى عكس ما تقول بلسانها متهمة الرجال.. بأنها ليست سلعة وليست موضوع لذة يوضع في قصر الحرملك.. نحن نرد عليها بأنها هي التي أثبتت على نفسها التهمة، وهي التي وضعت البطاقة على نفسها.. بالطريقة التي تلبس بها.. بالطريقة التي تزين بها.. بالطريقة التي تمشى بها وتتكلم بها.. وكأنها تقول.. بل تصرخ.. أنا أحسن بضاعة للسرير..

ماذا يكون هذا الأسلوب في الإغراء إلا أسلوب الجوارى والرقيق بعينه.

وإذا كان هذا هو فهم المرأة للتقدمية وللحرية، فإنها تزيف علينا الألفاظ وتخرجها من مدلولها، فلا تقدمية في مثل هذا السلوك ولا حرية.. وإنما نحن أمام الرجعية بعينها.. فالمرأة انسلخت من إنسانيتها وارتدت إلى حيوانية بدائية فجأة، ورفضت الحرية واختارت العبودية للحواس

والغرائز. واختارت أن تكون متعة وفتنة وغواية، لا إنسانة
جادة وشريكة عمر.

هنا أنثى تنادى على ذكر.

هنا عواء الغاب.

اختفى الإنسان خجلاً وأطل الحيوان من وراء الخضاب.
إنها تزنى حتى باللفظ، فتستخدم الأسماء في غير
مسمياتها بل وفي عكس مسمياتها، فتسمى الرجعية تقدماً..
وتستحث الأعضاء التناسلية للوثوب، مستخدمة آخر
صيحات العلم والموضة.. وأستاذتها في هذا الأسلوب،
ورائدتها ومثلها الأعلى ممثلة سينما أو راقصة كباريه على
الأكثر.

وهذا هو الفهم المودرن الثورى للمرأة «السكس»..
المرأة المرغوبة.. وهو فهم ينحط بالمرأة وبالرجل معاً.
وتخطئ المرأة تماماً إذا تصورت أن هذا هو تصور الرجل
التقدمى للأنوثة.

والرجل السوى لا يتصور الأنوثة مجموعة فتحات..
وإنما يفهم الأنوثة على أنها أمومة.. والمرأة المرغوبة هى
المرأة التى تستطيع أن تجسد الرحمة والحنان، والتعاطف
والمودة والفهم؛ وهو يعلم تماماً أن الأنوثة ليست صدراً
ومقاسات.. وهو يعرف أن هذه المقاسات المثالية تتبخر بعد

أول حمل.. وأن الغزالة تتحول إلى بقرة.. وأنه لا يبقى من
الأنثى مما له اعتبار في قيام البيوت إلا الأمومة والرحمة
والحنان وقيم البيت الأصيل.. وأن الحرية هي أن تتحرر
المرأة أولاً من إلحاح الحيوان في داخلها، ومن فحيح الغاب
ولهات الخواص.. لتصبح إنساناً.

هذا هو فهمي وفهم كل رجل سوى للأنوثة الحققة.. فإذا
كان هذا الكلام في نظر الستات المودرن رجعية.. فأنا رجعي
جداً.. وعلى حق.

ومن حسن الحظ أن هذه الثورة المودرن لم تشمل كل
الجيل بعد، فما زال الكثير من نساينا بخير.. مازلن رجعيات
مثلى والحمد لله.

وجاء عصر القروء

الطبيعة البكر فقدت بكارتها..
والغابة العذراء فقدت عذريتها..
والأنهار تلوثت بالمخلفات الكيماوية..
والبحار تلوثت بالمخلفات الذرية..
والهواء تلوث بالدخان وعادم السيارات وأطنان، الغبار
السام الذى تنفثه المصانع..
وازدحمت المدن بالناس، واختنقت الشوارع بالمارة،
وضاقت العمارات بسكانها، وأصبحت كعلب فسد هواؤها..
وأصبح التنفس ثقيلا ممضا مرهقا.. وكأن الإنسان ينتزع
الهواء انتزاعاً من عالم بلا هواء.

لم نعد نعرف تلك النسبات المنعشة الطليقة التي عرفها
أجدادنا، في أيام العصور الزراعية المتخلفة.

لقد جاء التقدم واستحدث معه صناعات أفسدت البيئة.
بما نفثت فيها من أدخنة الكبريت، وأكاسيد الآزوت
والكربون.

ثم تقدمنا أكثر وفجرنا الذرة، ولوثنا الماء والهواء والبحر
والترربة بالغبار الذرى.

وتقدمنا أكثر بما اكتشفنا من وسائل لإبادة الحشرات
الضارة، وفرحنا لأننا سوف نستأثر بثمرات الأرض دون
أن تنافسنا فيها الديدان والهوام، فكانت نتيجة ذلك الرش
المستمر بالمبيدات أن ماتت الحشرات الضارة، وماتت
معها الحشرات النافعة، ومات النحل في خلاياه، وخرج
العسل ملوثاً، كما مرضت البهائم التي تتغذى على
المزروعات وأصبح لبنها ملوثاً ولحمها ملوثاً، كما مرضت
الأسماك في الماء، والطيور في الجو، ومرض الإنسان بما أكل
من لحم هذه الطيور والحيوانات، وظهر الـ د. د. د. في لبن
الأم المرضع، وتوزع الموت على الكل، وأصبح كل شيء
ملوثاً.

وأصبح إنسان اليوم إنساناً شاحباً لاهت الأنفاس،
هضم الوجه، يشكو الكبد والبلغم والربو والمصران، ويخطو

إلى الشيخوخة وهو مازال في الخمسين.
وتحولت المدن إلى جارج سيارات كبير ، له رائحة
كريهة هى خليط من رائحة العادم والبنزين والسولار، وهى
مخلفات تسرع كلها بالرئتين إلى السرطان.

وحرص الإنسان على تهديم ما تبقى من صحته، فأصبح
لا يفارق السيجارة، يرضع منها السم بنهم، وينفث الدخان
اللاسع فى وجوه الناس.

ثم استحدث الإنسان تلوثاً جديداً هو التلوث
الضوضائى، بما اخترع من موتورات وماكينات وأوناش
وجرارات وكلاكسات، ومكروفونات ومكبرات صوت ملأت
الأسماع بالضوضاء إلى درجة الصمم.

وانتهت الموسيقى الرومانتيكية الحاملة.. وظهرت أنواع
جديدة من الموسيقى النحاسية الصاخبة، والطبول المجنونة
والإيقاعات المدوية، وظهر الجيتار الكهربائى والأورج
الكهربائى والبيانو الإلكترونى، واختفى الناي الرقيق
الخجول، واختفى العود الذى كان يداعب وهمس
ويوشوش.. وأصبحت موسيقى البارات والحانات وعلب
الليل شيئاً غليظاً فاحشاً، يخرق طبلة الأذن.

تلوث كل شىء.. حتى الفضاء تلوث بما ألقى الإنسان
فيه من آلاف الأقمار الصناعية، والسفن الفضائية وكواكب

التلصص والتجسس، وصواريخ الرصد والتصوير..
وأفسدت هذه الأجسام الغريبة الطفيلية التي ألقينا بها في
فضاء الكون، أفسدت العلاقات المغنطيسية المحكمة بين
الكواكب، وأفسدت جو الأرض المغنطيسي فانقلب
الطقس، وأصبح البرد والحر والجفاف والمطر والطوفانات
والأعاصير تأتي بخلاف معدلاتها المحسوبة، وفي غير
مواسمها.. وانفجرت الزلازل والبراكين حيث لا يتوقع
أحد أن تنفجر.. وتغيرت خريطة الأرصاد الجوية.. وقال
البعض.. هي مقدمات عصر جليدى.

ثم جاء أخطر أنواع التلوث في هذا العصر وهو التلوث
الخلقى، بما استحدث الإنسان من وسائل إعلامية. تدخل
على الإنسان غرفة نومه، وتزاحم العائلة على مائدة العشاء
مثل التليفزيون والراديو الترانزستور بحجم الكف الذى
يأخذه النائم فى حضنه.. ومن خلال هذه الوسائل الحميمة
أصبح فى إمكاننا أن نقدم للناس ما نريد.. وأصبح فى
الإمكان أن نروج للباطل وننشر الأكاذيب..

وأصبح فى الإمكان أن ندعو للشهوات عياناً بياناً
بما تغنيه على أسماع الناس ليل نهار من كلمات عارية،
وما نعرضه على أعينهم من مغازلات ، فيترى الصغار على

أن هذا هو الأمر الواقع.. فينتهى الحياء.. وبانتهاء الحياء
تبدأ دولة القروء.

ونحن الآن سيداتى وسادتى.. قادمون على عصر
القروء.. برغم أن الإنسان مشى على القمر وتحكم فى طاقة
البخار، والبتروى والكهرباء والذرة وغزا الفضاء.

لكنه بقدر ما حكم هذه الأشياء، بقدر ما فقد التحكم فى
نفسه، وبقدر ما فقد السيطرة على شهواته.

ولهذا فنحن أمام إنسان أقل رحمة، وأقل مودة وأقل
عطفًا وأقل شهامة وأقل مروءة.. وأقل صفاء من إنسان
العصر الزراعى المتخلف.

لقد تقدمنا عشر خطوات إلى الأمام، وسرنا مثلهم إلى
الخلف.

سألوا نجمة عالمية من نجوم السينما الفاتنات، معروفة
بإضرارها عن الزواج عن رأيها فى الحب فقالت..

أوه.. لا أومن إلا بالعلاقة المادية المباشرة مع الرجل،
وبعد ذلك تأتى المسائل الأخرى.. إن قدر لها أن تأتى.

أو بالعبرة العلمية الموضوعية:

نعاشر بعضنا البعض أولاً؛ ثم تأتى بعد ذلك الصداقة أو
الحب إن قدر له أن يأتى..

ترى من يكون السيد الحاكم في سلوك هذه السيدة
سوى أعضائها التناسلية.
وأبشروا سيداتي وسادتي بمجيء عصر القروود.

الحب فى عالم متغير

إن نظرة عامة على الساحة العاطفية اليوم ترينا أن هناك حالة « فك ارتباط » شاملة ومتكررة فى علاقات الحب العصرى، وترينا أن ظاهرة الوفاء أصبحت أقصوصة خرافية ورواية غريبة تروى وكأنها عن أهل المريخ، وتكاد الواحدة تقول للآخرى.. من تحبين هذا المساء؟ ولا مانع من أن تتشنج الفتاة ويغمى عليها بكاء وحباً فى كل مرة.. وتبلغ هذه الحمى أشدها فى المدن والسواحل وكافيتريات الجامعة.. ثم نراها تنحسر كلما نزلنا إلى الأرياف، أو توغلنا فى الصعيد الجوانى، أو رحلنا مع البدو.. ونرى أنفسنا نعود مع البداوة إلى الأصالة والوفاء وثبات

العاطفة.. ونسمع عن عشاق أقاموا على حبهم حتى الموت.. ولا تمر خيانة زوجية دون قتل ودون دم.. ونرى الوفاء يعود فيكون هو القاعدة، ونرى نفس هذا الوفاء في الريف الفرنسي والريف الإنجليزي والريف الألماني، كما نراه في جبل الدروز وجبل لبنان.. فإذا نزلنا إلى باريس ولندن وبيروت عدنا إلى نماذج التهلكة التي نراها في القاهرة وروما ومونت كارلو.. ورأينا الحجاب يسقط كما يسقط الحياء.. ورأينا فتياتا وفتيات يعشن حياة أشبه بعروض «الستريب تيز».

ويبدو أن للمناخ العام أثرًا في تشجيع صفات معينة في النفس وإجهاض صفات أخرى.. ففي الريف المناخ العام هو مناخ وفاء.. يلقي الفلاح البذرة في الأرض، فلا يخونه المطر ولا يخونه النيل ولا تخونه الشمس، وإنما يجد الوفاء بالوعد هو القاعدة عند الجميع.. وإذا اجتهد في الحرث والري أعطت الأرض ثمارها في الميعاد دون غدر.. ثم إن كل شيء يسير ببطء وهوادة دون هرولة ودون انفعالات ودون مفاجآت.. وتتجاوز العائلات وتزامل وتتصاحب وتتقاسم الخير والشر حتى الموت.. فلا عجب إن أثمر هذا المناخ وفاء عند الناس الذين يعيشون فيه.

ويختلف الأمر تمامًا في مدينة على الساحل يحج إليها

السياح كل يوم، وتلقى البواخر بأطنان من النساء والرجال من هواة المتعة، وطلاب التغيير على الشاطئ بين ساعة وأخرى.. والكل يتسابق إلى الدفع في سبيل اصطياد لذة جديدة.

كما يختلف الأمر في كافيتريا بالجامعة تتداول عليها طوابير طوافة من المراهقين والمراهقات، وتطن فيها الغرائز والشهوات طنين النحل في خلية.. وتلتهب الأنظار والأسماع بما ترى وتسمع.

ثم حياة المدن.. التي لم يعد فيها الإنسان ينتظر من السماء شيئاً.. وإنما أخذ زمام الأمر في يده وبدأ يدير كل شيء بالأزرار والرادار والأقمار الصناعية، فخيّل إليه أنه لا سماء هناك ولا رب ولا مهيمن سواه.. فألقى بالأوامر والشرائع والأعراف والتقاليد وراء ظهره، كما يلقي بتركة بالية وانطلق يعيش على هواه.. ولم يعد الواحد منهم يرى غير نفسه وغير ما يشتهي، وغير ما تأتي به اللحظة من حظوظ وملذات.

وتلك هي الحياة المادية الصرفة.

وحينما يعيش الإنسان حياة مادية صرفة.. فإنه ينفصم تماماً إلى لحظات.. وحالات.. ونزوات.. لا رباط بينها.. إلا استهداف اللذة.. والشهوات بطبيعتها سريعة الملل،

سريعة الضجر طلبة للتجديد والتغيير لتظل على اشتغالها.
ومن هنا تأتي هذه الحالة العامة من «فك الارتباط»
المتكرر والعلاقات الطيارة.. ونرى الساحة وقد انقلبت إلى
جبلاية قرود، تتلاقح وتتسافد فيها الإناث والذكور
بلا قاعدة سوى لقاء المصادفة.

والغريب أن النفس في هذه الحياة لا تزداد شبعًا، بل
تزداد جوعًا ولا تزداد امتلاء، بل تزداد خواء.. ثم هي تنتهي
إلى حالة من الظلمة الحيوانية والقسوة والبلادة.. ثم تنتهي
آخر الأمر بفساد الفطرة إلى اليأس والجنون وطلب
الانتحار.

ولهذا نجد أعلى نسبة للجنون والانتحار في بلاد الترف
والتحلل، والإشباع الجنسي مثل روسيا وأمريكا والسويد
والنرويج.. ولا نجدها بين الذين يعيشون حياة الريف أو
حياة البداوة أو حياة الجبل.. كما لا نجدها إطلاقًا بين أهل
الإيمان، وأهل الوفاء وأهل المثل والقيم.

ويظل هؤلاء الماديون على غوايتهم لا يفيقون إلا على
زلازل، أو طوفان أو بركان أو وباء مهلك، تعجز أمامه حيلهم
ومعارفهم، فيتوقف الواحد منهم وقد شل عقله تمامًا وهو
يرى قوة أخرى غير قوته، وإرادة أخرى غير إرادته تعمل
في الكون.

فإذا مضت الحادثة، وانصرف آخر عامل إنقاذ، عاد المسرفون منهم إلى عتوهم.. ورأيانهم يفسرون ما حدث بالعبث والقوى العبثية والعشوائية والمصادفات العمياء، وازدادوا بذلك عمى على عماهم، وفاتتهم العبرة، ونسوا التاريخ، ولم يفقهوا أن ما حدث كان صيحة إنذار.. ونفخة أولى في الصور.. ليصحو من يصحو ويفيق من يفيق.. قبل أن تأتي نفخة الصور الثانية فتكون الطامة..

وتلك كانت رواية التاريخ التي تعددت فصولا.
وتلك كانت قصة عاد وشمود وقوم نوح وقوم لوط.
وتلك كانت سنة الله في الأرض.
ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وإنما الحب وروايات أهل الحب مثال من ألف مثال..

والفطن اللبيب من يعرف كيف يقرأ التاريخ، وكيف يحل رموز حجر رشيد، ويفقه الحكمة الخافية والعبرة المستترة وراء الحوادث اليومية التي تبدو من السطح؛ وكأنها تداعى المصادفات.

الحب لا.. الرحمة نعم

بالرغم من قيمة مشاعر الحب عندى وعندكم معاشر القراء والقارئات، وبالرغم من أن الحب يكاد يكون صنم هذا العصر الذى يحرق له البخور، ويقدم له الشباب القرايين من دمائهم، ويقدم له الشيوخ القرايين من سمعتهم، وترتل له الأناشيد، ويزمر له الزامر، ويطلب الطبال، وترقص الراقصة، وتعمل بلاتوهات السينما وستوديوهات التليفزيون، وكباريهات شارع الهرم ليل نهار لتمجيده ورفعته على العرش، ليكون المعبود الأول والمقصود الأول، والشاغل الأوحد والهدف الأوحد والغاية المثلى للحياة التى بدونها لا تكون الحياة حياة.

وبالرغم من أننا جميعاً جناة أو ضحايا لهذا الحب، وليس
فيينا إلا من أصابه جرح أو سهم أو حرق، أو أصاب غيره
بجرح أو سهم أو حرق.

بالرغم من هذه الأهمية القصوى، والصدارة المطلقة
لموضوع الحب في هذا الزمان، فإنني أستأذنكم في إعادة نظر
وفي وقفة تأمل، وفي محاولة فهم لهذا التيه الذى نتيه فيه جميعاً
شيوخاً وشباباً وصبايا.

وأسأل نفسى أولاً وأسألكم:

هل تعلمون لماذا يرتبط الحب دائماً بالألم، ولماذا ينتهى
بالدموع وخيبة الآمال؟!

دعونى أحاول الإجابة فأقول: إن الحب والرغبة
قرينان.. وإنه لا يمكن أن تحب امرأة دون أن ترغبها، ولهذا
ما تلبث نسمات الحب الرفافة الحنون أن تمازج الدم
واللحم، والجيلة البشرية فتتحول إلى ريح وإعصار وزوبعة
تدفع بالمرأة إلى حضن الرجل، حيث ينصهر اللحم والعظم
فى أتون من الشهوة العارمة، واللذة الوقتية التى ما تكاد
تشتعل حتى تنطفئ.

والشهوة فى طبيعتها العنف والعدوان والامتلاك
والتسلط، والمرأة التى كانت تسير مع الرجل جنباً إلى جنب

ويبدأ في يد، تصبح بالشهوة تحته وتتحول إلى كيان ذائب
مسحوق بين ذراعيه.

هل أقول إن الحب يتضمن قسوة خفية، وعدواناً
مستتراً؟.

نعم هو كذلك إذا اصطبغ بالشهوة، وهو لا بد أن يتلون
بالشهوة بحكم البشرية.

والمرأة التي تشعر أن الرجل استولى على روحها، تحاول
هي الأخرى أن تنزع روحه وتستولي عليها.. وفي ذلك
عدوان خفي متبادل، وإن كان يأخذ شكل الحب.

والمرة الوحيدة التي جاء فيها ذكر الحب في القرآن هي
قصة امرأة العزيز التي شغفها فتاها (يوسف) حباً.

فماذا فعلت امرأة العزيز حينما تعفف يوسف الصديق؟
وماذا فعلت حينما دخل عليها الزوج؟ لقد طالبت بإيداع
يوسف السجن وتعذيبه.

﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو
عذاب أليم﴾.

[٢٥ - يوسف]

وماذا قالت لصاحباتها وهي تروى قصة حبها؟

﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾.

[٣٢ - يوسف]

إن عنف حبها اقترن عندها بالقسوة والسجن
والتعذيب.

وماذا قال يوسف الصديق؟

﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾.

[٣٣ - يوسف]

لأنه أدرك ببصيرته أن الحب سجن، وأن الشهوة قيد إذا
استسلم له الرجل أطبق على عنقه حتى الموت.. ورأى أن
مكثه في السجن عدة سنوات، أرحم من الخضوع للشهوة
التي هي سجن مؤبد إلى آخر الحياة.

إن الحب لا يظل حباً صافياً رفاقاً شفافاً، وإنما ما يلبث
بحكم الجبلة البشرية أن يصبح جزءاً من ثالوث هو: الحب
والجنس والقسوة، وهو ثالوث متلاحم يقترن بعضه ببعض
على الدوام.

ولأن قصة الحب التي خالطتها الشهوة ما تلبث أن
تنتهي إلى الإشباع في دقائق، ثم بعد ذلك يأتي التعب والملل
والرغبة عند الاثنين في تغيير الطبق، وتجديد الصنف لإشعال
الشهوة والفضول من جديد.. لهذا ما يلبث أن يتداعى

الحب إلى شك في كل طرف من غدر الطرف الآخر.. وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد من الارتياب والتربص والقسوة والغيرة، وهكذا يتحول الحب إلى تعاسة وآلام ودموع وتجريح.

والحب لا يكاد ينفك أبداً عن هذا الثلاث.. «الحب والجنس والقسوة».. وهو لهذا مقضى عليه بالإحباط وخيبة الأمل، ومحكوم عليه بالتقلب من الضد إلى الضد، ومن النقيض إلى النقيض.. فيرتد الحب عداوة وينقلب كراهية وتنتحر العواطف كل يوم مائة مرة.. وذلك هو عين العذاب. ولهذا لا يصلح هذا الثلاث أن يكون أساساً لزواج.. ولا يصلح لبناء البيوت، ولا يصلح لإقامة الوشائج الثابتة بين الجنسين.

ومن دلائل عظمة القرآن وإعجازه أنه حينما ذكر الزواج، لم يذكر الحب وإنما ذكر المودة والرحمة والسكن. سكن النفوس بعضها إلى بعض.

وراحة النفوس بعضها إلى بعض.

وقيام الرحمة وليس الحب... والمودة وليس الشهوة. ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

[٢١ - الروم]

إنها الرحمة والمودة.. مفتاح البيوت.
والرحمة تحتوى على الحب بالضرورة.. والحب لا يشتمل
على الرحمة، بل يكاد بالشهوة أن ينقلب عدواناً.
والرحمة أعمق من الحب وأصفى وأطهر.
والرحمة عاطفة إنسانية راقية مركبة، ففيها الحب، وفيها
الأخوة، وفيها الصداقة، وفيها الحنان، وفيها التضحية،
وفيها إنكار الذات، وفيها التسامح، وفيها العطف، وفيها
العفو، وفيها الكرم.

وكلنا قادرون على الحب بحكم الجبلة البشرية.
وقليل منا هم القادرون على الرحمة.
وبين ألف حبيبة هناك واحدة يمكن أن ترحم، والباقي
طالبات هوى ونشوة ولذة.

ولذلك جاء كتاب الحكمة الأزلية الذى تنزل علينا من
الحق.. يذكرنا عند الزواج بالرحمة والمودة والسكن.. ولم
يذكر كلمة واحدة عن الحب، محطماً بذلك صنم العصر
ومعبوده الأول، كما حطم أصنام الكعبة من قديم.
والذين خبروا الحياة وباشروا حلوها ومرها، وقرسوا
بالنساء يعرفون مدى عمق وأصالة وصدق هذه الكلمات
المنزلة.

وليس فى هذه الكلمات مصادرة للحب؁ أو إلغاء للشهوة وإنما هى تأكيد؁ وبيان بأن ممارسة الحب والشهوة بدون إطار من الرحمة والمودة والشرعية هو عبث لا بد أن ينتهى إلى الإحباط.

والحيوانات تمارس الحب والشهوة وتتبادل الغزل. وإنما الإنسان وحده هو الذى امتاز بهذا الإطار من المودة والرحمة والرأفة؁ لأنه هو وحده الذى استطاع أن يستعلى على شهواته؛ فيصوم وهو جائع ويتعفف وهو مشتاق.

والرحمة ليست ضعفاً وإنما هى غاية القوة؁ لأنها استعلاء على الحيوانية والبهيمية والظلمة الشهوانية. الرحمة هى النور والشهوة هى النار. وأهل الرحمة هم أهل النور والصفاء والبهاء؁ وهم الوجهاء حقاً.

والقسوة جبن والرحمة شجاعة. ولا يؤقى الرحمة إلا كل شجاع كريم نبيل. ولا يشتغل بالانتقام والتنكيل إلا أهل الصغار والخسة والوضاعة.

والرحمة هى خاتم الجنة على جباه السعداء الموعودين

من أهل الأرض.. تعرفهم بسيماهم وسمتهم ووضاءتهم.
وعلامة الرحيم هي الهدوء والسكينة والسباحة، ورحابة
الصدر، والحلم والوداعة والصبر والتريث، ومراجعة النفس
قبل الاندفاع في ردود الأفعال، وعدم التهالك على الحظوظ
العاجلة والمنافع الشخصية، والتنزه عن الغل وضبط
الشهوة، وطول التفكير وحب الصمت والالتئاس بالخلوة
وعدم الوحشة من التوحد، لأن الرحيم له من داخله نور
يؤنسه، ولأنه في حوار دائم مع الحق، وفي بسطة دائمة مع
الخلق.

والرحماء قليلون، وهم أركان الدنيا وأوتادها التي يحفظ
بها الله الأرض ومن عليها.

ولا تقوم القيامة إلا حينما تنفذ الرحمة من القلوب،
ويتفشى الغل، وتسود المادية الغليظة، وتنفرد الشهوات
بمصر الناس، فينهار بنيان الأرض وتتهدم هياكلها من
القواعد.

اللهم إني أسألك رحمة..

اللهم إني أسألك مودة تدوم..

اللهم إني أسألك سكناً عطوفاً وقلباً طيباً..

اللهم لا رحمة إلا بك ومنك وإليك.. -

متى يكون الحب جهلاً

ليس أكره عند الله من كهل يعشق، أو غنى يبخل، أو قوى يطغى، لأن الإنسان يبلغ غاية قدراته مع رشد الكهولة، وبسطة الغنى ووفرة القوة.. ولا ينتظر من هذا الذى بلغ أشده أن يقع فى النقصان.. وما يسامح فيه المراهقون والصبيان، لا يسامح فيه الكهول الراشدون، ولهذا يقول القرآن عن الإنسان.

﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾.

[١٥-الأحقاف]

ويسمى القرآن الصبوة إلى النساء جهلاً، فيقول النبي يوسف شاكياً حاله إلى ربه حينما تكاثرت عليه نسوة مصر يراودنه..

﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.

[٣٣-يوسف]

فيقول لربه: إن لم تصرف عني إغواء هؤلاء النسوة فسوف أضعف بحكم بشرتي وأصبو إليهن وأكن من الجاهلين..

ويسمى القرآن الصبوة إلى النساء جهلاً. وتلك لمحة قرآنية عميقة تحتاج إلى وقفة تأمل.. لماذا تكون الصبوة إلى الجميلات الحسان ذوات الفتنة جهالة؟ وما الذي جهله ذلك الذي أغرم صباة وهام حباً؟ وما نوع الجهل المقصود؟

إن المغرم صباة يمكن أن يكون من حملة الدكتوراه، ويمكن أن يكون وزيراً للثقافة والإعلام، ويمكن أن يكون فقيهاً، ويمكن أن يكون عالماً، ويمكن أن يكون صوفياً، سالكاً طريق أهل الله.. فسقطه الحب ليس فيها كبير.. وفتنة المرأة يمكن أن يقع فيها الرجال على تنوع ثقافتهم..

إذن الجهل المقصود هنا ليس هو الجهل المتعارف عليه..
ليس هو الجهل بالحساب والكيمياء والجغرافيا.. وليس هو
الجهل بالفلسفة والفقه وعلوم الكلام.. وليس هو حتى
الجهل بالشريعة.. لأن النبي يوسف لو أنه سقط لما كان
سقط عن جهل بالنصوص والوصايا.. إنما الجهل المقصود
هنا أعمق.. هو جهل بروح الأمر.. وسره.. وخفاياه.. جهل
بروح الشريعة وحكمتها ومقصودها الباطن.
فما هو روح الأمر؟

ولماذا جهل ذلك المغرم صباة روح الأمر حينما نظر إلى
وجه حبيبته فتعلق به، وافتتن وهام وارتبط به بكل همته
وعزمه، وجعل من ذلك الحسن والجمال شغله الشاغل بالليل
والنهار.

إنه جهل تمامًا - وبلا شك - لأنه قد فاتته لغة الله التي
كلمه بها من خلال وجه حبيبته الجميل.
فالله يقول له من خلال هذا الوجه أنا الظاهر والباطن
وأنا الأول والآخر.

أنا الجمال الظاهر الذى فتتك فلا تنسبه لغيرى.
وأنا الحسن والبهاء الذى بهرك، فلا تظنه لحبيبتك
وتنسانى.. فغداً وبعد سنوات لو نظرت إلى هذه الحبيبة
عينها فلن ترى فيها إلا وجهاً مغضناً، وخداً هضيباً وجلداً

مجمعداً.. وبالموت سوف تغدو رمة.. فجماها ليس جماها، إنما هو جمالى، وحسناها ليس حسنها وإنما هو حسنى، أنا أعطيته إيّاها على سبيل الإعارة والإنعام.. لأنعم عليها وعليك وأجمل حياتها وحياتك.. فكيف تنسانى وتعطى نفسك كلية لها وتعطينى ظهرك، وتجتمع عليها بكل همتك وتتفرق عني؟! تلك يا عبدى قطيعة وجهل بأصل النعمة، وإغفال لليد الحقيقية التى أنعمت وأعطت.

ولأن هذه الصباية قطعت صاحبها عن الله، وحجبته عن نور ربه، فقد ساءها الصوفى أبو حامد الغزالى سقوطاً، واعتبر الغرق فى حب امرأة واحدة إشراكاً بالله.. فلا يصح التوحيد فى الحب إلا لله وحده، ولا يعشق وحده ولا على وجه الأفراد الكامل إلا الله.. وتلك عند الغزالى من أسباب الحكمة الخفية لتعدد الزوجات.

إن المغرم صباية جاهل.. لأنه لم يعرف من هو الجميل؟ إنه غرق فى تقبيل نحاس الضريح فى حين أن المحبوب الحقيقى هو روح الحسين مثلاً... وتلك وثنية سقط فيها العاشق ولم يدركها.

وكل مغرم صباية هائم بالشفيتين والنهدين، مشغوف بلثم الحدود والقدود.. هو وثنى ماذى عابد أصنام أنسته الشكليات الجزئية الحاضرة محبوبه الحقيقى، وأنسته اليد

الحقيقية التى كان يجب أن يلثمها..

وذلك باب شريف من الغيرة الإلهية.. أن يحرم الله هذه الصباية، لأنه يغار على عبده ويراه جديرًا بحب أرقى وأعلى.. ولا يجب أن يرى عبده يلحس اليدين والشفيتين مثل كلب يلوك عظمة.. وكأنه يقول له: انظر لقد فاتتك وليمة أشرف، ولذات أعظم وشغلت نفسك بالمسائل الدون ولثمت الحجاب، وخلف الحجاب الوجه الذى دون جماله كل جمال.. خلف الحجاب وجهى أنا.

أنا سبحانى خلف الحجاب..

فانظر إلى يا عبدى فإنى أنظر إليك.. وأنا فى عين كل ناظر، وعلى لسان كل متكلم.. وفى سمع كل مستمع، وأنا خلقت العالم من أجلك، وخلقتك من أجلى، ومن أجل أن تنظر إلىّ وأنظر إليك، فلا تشغل بما هو لك، وبما هو فى خدمتك وتنسى ما أنت له بحكم ربتك ووجاهتك.. وإلا فقد نسيت وجاهتك ووجاهتى؛ ورضيت لنفسك بدروم الخدم بما فيه من ملذات ومتع تافهة.. ولو خلدت إلى هذا البدروم واطمأنت إليه ووجدت نفسك فيه.. فأنت منه.. ومصيرك فى الآخرة بدروم الظلمة وعالم الأسفلين.. وأنا أغار عليك وقد كرمتك بما نفخت فىك من روحى، ورفعتك عن هذا السفلى.. أن تعود فتقع فيه.. وحفظتك بشريعتى وأوامرى، وقضيت

عليك بالرجم والجلد إن زنت خوفاً عليك وحفاظاً عليك
ولكى أبعدك عن هذا المصير وعن عالم الأسفلين.. وأخفيت
رحمتي في عقابي.. فافهم.. افهم اليوم وإلا فما فهمت أبداً..
تلك روح الأمر..

وتلك فتنة الحجاب..

ومن وراء الحجاب الوجه الأجل الأكمل الذى قال عنه
سبحانه: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.
فكل من يرتبط بغير وجه الله يهلك..
وكل حب لغير وجه الله هو حب هالك.

يقول الله لنبيه في حديث قدسى.. «عش ما شئت فإنك
ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه».

فالفراق والإحباط والفشل نهاية كل حب لغير وجه الله.

إنما تكون العلاقة السوية على الأرض بين الرجل
والمرأة هى علاقات المودة والرحمة.. والرحمة تشتمل على
الحب المطلوب لعمارة الأرض ونجاح الأسر.. أما الحب
صباية والجنون غراماً.. والهلاك فى مفاتن الخدود والقودود..
فذلك هو الجهل المحذور وهو لثم نحاس الأضرحة.
وقانا الله أن نكون من أهل الصباية..

وحفظك وحفظنى أن نكون من أهل الجهالة فى عصر كله
جهالة..

من هى المرأة الفاضلة

يقول سليمان فى التوراة:

امرأة فاضلة من يدلى عليها.. إنها أثمن من كل ما فى الأرض من ماس ولآلئ.. فتشت فى الألف امرأة فلم أجدها.

فمن هى تلك المرأة الفاضلة التى فتش عنها سليمان الحكيم فى نساءه الألف فلم يجدها..؟!!

سمعنا عن نساء فاضلات حكى عنهن التاريخ وجرت حياتهن مجرى السير.

مريم العذراء.

وخديجة زوج الرسول.

وآسيا امرأة فرعون.
تلك كانت أسماء وسير وحكايات غبرت ومضت.
فماذا يتصور الذهن اليوم حينما يحاول توصيف المرأة
الفاضلة في زماننا؟

في القاموس الدارج أنها امرأة تحب حتى الموت.. هكذا
تقول الأغاني.. وهكذا تقول أجهزة الإعلام.

وأنا أسأل .. موت من..؟!
المشاهد أن كل النساء يحبين حتى الموت.. حتى موتنا
نحن.. .

وعطاء الحب من المرأة طبيعة وفطرة وليس فضيلة.
وهو أيضا ليس فضيلة، لأنه عطاء يتلقى مقابلا من
النشوة، واللذة الفورية فهو عطاء مجز وتكاليفه ممتعة.

ومريم العذراء سيدة نساء العالمين لم تعط من هذا النوع
من الحب.. وهي لم تحب رجلا.

وخديجة كان عطاؤها الذي ميزها هو عطاء من نوع
آخر.. فقد أعطت النبي الأمن والأمان، وكانت له أما
وزوجة وملجأ، ومأوى من عداوة الكفار، ومكرهم وتآمرهم..
ثم أعطت نفسها وحياتها وما لها لرسالته وأهدافه، واتخذت
محبوبه عين محبوبها، وطريقه عين طريقها، فأحبهه الله وأحبت

الله فيه، واتخذت دستور حياه، واختارت هجرته إلى الله هجرة محبة لها، وكانت حياة الاثنين معاً أنساً كاملاً وائتناساً وملاء كاملاً لا خواء فيه ولا ملال.. ولهذا لم يفكر الرسول أن يتزوج عليها أو يجمع عليها بأخرى.. بالغة ما بلغت من الجمال.. وهى التى كانت تكبره بعشرين عاماً. ولم يعدد بين زوجاته إلا بعد وفاتها.

إن القضية إذن ليست قضية حب.
فهناك من تحب فلا ترحم.. وهذا حال الكثرة.

وهناك من ترحم ولا تحب.. وتلك عطاؤها شفقة وصدقة، وذلك عطاء لا حب فيه، ونذر بين النساء من جمعت فى قلبها جمعية «الحب والرحمة».. تلك التى عواطفها سكن، وحنانها قيم، وحبها ظل ظليل، وليس ناراً محرقة.
ولعل هذه المرأة هى التى أرادها سليمان فى التوراة.

ومثال مريم فى الزهد والتجرد الكامل، وقتل الجسد غير وارد الآن.. وهى فى التاريخ استثناء.. ربما لن يتكرر.
وليس هناك من يطالب المرأة بأن تكون مريم.
ولم يكن سليمان يفتش عن مريم فى زوجاته الألف، ولعل مثال خديجة كان أقرب إلى تصويره، وهو أيضاً أقرب إلى تصورنا نحن وإمكاناتنا

فحسب الرجل امرأة، تستطيع أن تتخلص مما في صدرها من غل، وتغلب في نفسها صفات التسامح، واللين والمودة والوداعة، على الانتقام والغضب والغیظ.. امرأة تكون له أمًّا ولرسالته عونًا وسندا.

فتلك هي الشخصية النورانية.

وسماها هي تلك «الجمعية النادرة بين الحب والرحمة».

وهي جمعية لا تجتمع إلا في الأشخاص النورانيين.. الأشخاص الذين استطاعوا أن يرتفعوا على جبلتهم الطينية، ويتجاوزوا ضروراتهم البشرية.. فنزعوا ما في صدورهم من غل.. وأصبح الحاكم عندهم هو الجانب الرباني من نفوسهم.

وهؤلاء قلة نادرة.. يحتسبون في التاريخ بالأسماء.. رجالا ونساء.

وإذا كانوا في الرجال قلة فهم في النساء أقل. لأن الله جعل الجبلة البشرية في النساء أقوى منها في الرجال، وجعل من النساء لحم العلاقة الزوجية ودمها وهيكلها، وجعلهن بذلك أكثر واقعية وأكثر ارتباطًا بالأرض، وأكثر خضوعًا لضرورات البشرية وأحكامها، وأقل قدرة على التجرد والتحليق، والاستعلاء على الجبلة الطينية؛ ولذلك أعد المرأة لنبيت والأمومة، وأعد الرجل للفلسفة.. وعهد

بالطفل إلى المرأة.. وعهد بالنبوة وتغيير العصر إلى الرجل..
وبذلك جعل المرأة هي الأساس، وهي العنصر المحافظ..
والرجل هو أداة الانتقال وعنصر الثورة.
ولذلك كانت الجيلة الطينية في المرأة قوية، والبشرية
أكثر تحكماً، والحب عنيفاً مشتعلًا وقلما يرحم.
ولذلك فتش سليمان الحكيم في الألف زوجة فلم يجد
امراً فاضلة واحدة.

وانسحب فشل سليمان على البشرية.
فلا عجب، إن كنا أكثر فشلاً من سليمان.. ولنا عذرنا.. ولهن
عذرهن.
ولا عجب، فنحن في عصور أكثر ظلمة، وأكثر مادية من
عصر سليمان.. عصور أصبح فيها الحديد والصلب والبترو
والذرة حكماً على مصير الأرض.
فاسألوا الله الرحمة..

ولا تسألوا غيره فتهلكوا.
وحاولوا أن تكونوا فضلاء أولاً، قبل أن تفتشوا عن
المرأة الفاضلة.. فالثار لا يمكن أن تظهر إلا إذا ظهرت
الزهور أولاً.

ولتجد امرأة كخديجة، لا بد أن تكون رجلاً كمحمد.

وتربية الفضيلة في النفس أمر مختلف عن تسمين الدجاج أو تربية الأسماك.. فليس للفضيلة وصفة علمية تنمو بها ولا بذور تشتري من السوق.. إنما الفضيلة نور.. ولا يمكن أن تتنور النفوس إلا بالاتجاه إلى مصدر الإشراق.. إلى الله صاحب الفضل في كل فضيلة.

ولذلك كان أولو الفضل والفضيلة الحققة هم الساجدين والساجدات.. وإذا رأيت فضيلة في امرأة غير مؤمنة، فتلك فطانة وذكاء لا فضيلة، وتلك أخلاق التعامل التي تراها في البقالات الناجحة وشركات الائتمان.. وذلك أمر مختلف. إنما الفضيلة نور وعطاء من ذات النفس، بلا حساب وبدون نظر إلى مقابل، وهي صفة ثابتة تلازم صاحبها في جميع مواقفه.. ولا تتلون بالمصالح.. فكما أن الله بكرمه يرزق المؤمن والكافر.. كذلك الذين أخذوا كرمهم من عند الله تراهم يمدون يد المعونة إلى أصدقائهم وأعدائهم، وهذا شأن النور يدخل القصور والمحور دون تحيز.

وصدق سليمان الحكيم.. فإن من يرزقه الله امرأة فاضلة.. فقد رزقه جميع لآلئ وماسات الأرض.. وأكثر. وقليل في الأرض أمثال هذا الرجل.

عن الشهوة

مع سن البلوغ تهب زوبعة الرغبة وتتفجر الشهوات،
ويطالب الجسد بحظه من الإشباع، ويشعر الشاب بهذه
الرغبات تغالبه وتزاحمه كأنها مشيئة أخرى في داخله، تحاول
أن تفرض ذاتها عليه، ويشعر بنفسه يدفعها وتدفعه،
ويكبحها وتكبحه، ويلجمها مرة وتفلت منه مرات، وتجذبه
وراءها وتجره إلى حضيض اللذات الحسية المباشرة،
والمزاوالت البدائية.

وتلك هي المراهقة، وقد يصاحبها انطواء وسوداوية،
ورغبة في العزلة أو ثورة وهو وعريضة. وقد يصاحبها تدين
حاد مريض متهوس، أو كفر وعصيان وتمرد، ورفض لجميع

الأخلاق والأعراف، فترى الشاب يقول: جسمي ملكي أفعل به ما أشاء، وأستمتع ما أشاء مادمت لا أغتصب أحداً. وترى الفتاة تقول: أنا حرة، أهب نفسي لمن أحب وأختار، ولا دخل لأحد بنا مادمت لا تؤذي أحداً.. وقد تصل هذه الإباحية إلى ذروتها، وترفع لنفسها رايات فلسفية مثل العيشية والوجودية والفوضوية، فتعقد صلحاً مزيفاً مع العقل، بل أكثر من ذلك تجعل العقل خادماً لها، يجلب لها المزيد من اللذات، ويسخر لها المزيد من صنوف المتعة.

ويقول الواحد منهم.. كل شيء حلال مادمت لا نخون أنفسنا، ولا نكذب ولا نمثل ولا ندعى.. وهو كلام يكشف عن التباس خطير.. فقد تصور الواحد منهم أن هذه الشهوة الوافدة.. هي حقيقة إرادته ورغبته بالأصالة.. وتصورها هدفاً لوجوده وغاية لحياته على الأرض. والحقيقة غير ذلك، فالله حينما يشعل هذا الصراع بين النقيض والنقيض (بين الروح والجسد) في الإنسان إنما يريد بذلك أن يوقظ إرادة النفس المستقلة، ويزكيها ويميزها كشئ متميز متعال، على إرادة الجسم، والأعضاء التناسلية.. يريد بكل إنسان أن يكتشف أنه ليس جسده.. وأنه حاكم لهذا الجسد، ولا يصح أن تنقلب الآية فيصبح الجسد حاكماً عليه.. وأنه سيد على هذا الجسد، ولا يصح أن ينقلب السيد

خادمًا والحاكم محكومًا، وإلا اندرج الإنسان في عداد البهائم.

ولا يكتشف الإنسان هذه الحقيقة، إلا حينما ينحدر إلى سفل هوة الخضوع الشهوانى، وحينئذ يشعر أنه لم يزد حرية؛ بل ازداد قيدًا، وأنه لم يصبح حرًا بل أصبح عبدًا، وأنه أصبح سجين جسمه، وأن أعضائه أصبحت تخنقه مثل الجاكتة الجبس.. وحينئذ يثور الواحد منهم إن كان من أهل الإخلاص، ويكسر قيوده ويتحرر، ويبدأ في مسيرته الإنسانية السوية، نحو علاقة ينظم فيها هذه الرغبة في زواج ناجح، أو ينصرف عنها إلى عمل منتج.. أما إن كان من أهل الجبله الحيوانية، فإنه يمضى في الانحدار إلى الحضيض حتى تموت نفسه، وتموت روحه كما تموت نحلة في العسل.

والفرق بين ضبط هذه الرغبة، وعدم ضبطها هو الفرق بين جبلاية القروى وبين المجتمع المتمدن.
وما أكثر المدن الأوروبية التى أصبحت الآن أشبه بجبلايات القروى.

وإشباع هذه الرغبة يؤدى دائمًا إلى حالة من البلادة والخمول، والكسل وموت الروح.. تمامًا مثل إشباع المعدة وتخمثها وملئها بالطعام.

إنما يكون الإنسان إنساناً، حينما يقوم من الطعام قبل أن
يمتليء.

فالإنسان هو إنسان فقط، إذا استطاع أن يقاوم ما يجب
ويتحمل ما يكره، وهو إنسان فقط إذا ساد عقله على
بهيميته وإذا ساد رشده على حماقته، وتلك أول ملامح
الإنسانية في الإنسان.

وبجواب السادة الصوفية على من يسألهم: كيف يقاوم
الإنسان شهوته؟ فيقولون بتنظيمها في إطار الزواج، فإذا لم
يتيسر الزواج يستعين عليها بالترك.. فالشهوة كامنة في
الجسم كمون النار في الحجر.. إذا داومت على ضرب الحجر
بالحجر ظهرت النار وبان شرارها، ولم تستطع أن تحكمها،
فعليك بالترك.. لا تضرب حجر الأنوثة بحجر الذكورة..
تجنب الخلوة بين الجنسين.. وتجنب الإثارة والاستشارة..
وتجنب المراودة.. ولا تحم حول الحمى، حتى لا تقع فيه..
واكبح شهواتك بالصوم والعمل.. واستنفض روحك وقوها
بالعبادة، وسيساعدك هذا الترك على عودة الشهوة إلى
الركود والكمون، كما تكمن النار في الحجر إذا كففتها عن
الاحتكاك؛ فتهدأ النفس ويتطهر القلب، ويعود إلى البال
صفوه.

ونحن نضيف إلى كلام السادة الصوفية وسائل جديدة

أتاحها لنا العصر هي : الرياضة البدنية بألوانها، والرحلات وممارسة الهوايات والقراءة.. وكلها مصارف يمكن أن تجرى فيها فائض الطاقة، فتصبح فائدة وبركة، بدلا من أن تتركز تلك الطاقة في الأعضاء التناسلية، وتصبح شهوة مدمرة تمتص صاحبها حتى النخاع وتستهلكه، فيما لا يفيد. ولن يغنى ذلك عن الصراع ولن يغنى عن المغالبة والمراهقة.

فلا بديل عن الكفاح، فذلك قدر الإنسان.. وذلك أيضا شرفه وامتيازه على الملائكة. ولم يخلق الإنسان ليرث الجنة بلا مجهود، وإنما خلق ليأخذ الجنة غلابًا، وبعد إثبات الاستحقاق. فلا بد من المكابدة والمعاناة.

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾. [٤ - البلد]

ولا يمكن أن يكابد واحد بدلا من آخر ، ولا يستطيع أبوك ولا أخوك، ولا صديقك أن يحمل عنك تلك المكابدة فيعانيها بدلا منك.. وإنما يخلق الإنسان ليولد وحده، ويموت وحده ويشيخ وحده، ويمرض وحده ويتألم وحده، ويكابد وحده، ويلقى الله وحده.

ولا نملك أكثر من أن نهون على بعضنا الطريق.. ببذل الحكمة والخبرة والقول السديد. وفي كتاب الموتى يقول

الحكيم الفرعوني منذ ثلاثة آلاف سنة:

احذر الاقتراب من النساء في أى مكان تدخله، فقد
انحرف ألف رجل عن جادة الصواب بسبب ذلك.. إنها
لحظة قصيرة كاللحم، والندم يتبعها.

وكل الكتب السماوية تقول في وصاياها: لا تزن.
وقد جاء مثل هذا الكلام في صحف إبراهيم أبى الأنبياء
من قبل إنه كلام قديم.. قديم.. منذ آدم.. ومنذ قال الله
لآدم: لا تأكل من هذه الشجرة.

ويعود الأمر مرة أخرى، فيتكرر فإذا بكل منا يقف
موقف آدم.. أياكل من الشجرة المحرمة أم لا يأكل؟
ويتكرر هذا الموقف أمام كل إغراء.. طوال حياته..
ولا تعفى الحياة أحدًا من الإغراء، ولا تعفى أحدًا من
الامتحان، ولا تعفى أحدًا من ذلك الموقف القديم الذى
وقفه آدم، لأنه فى مراد الله وفى خطته، أن يخرج المكتوم فى
كل قلب، وأن تفتضح النوايا وتظهر الأعمال:

﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾. [٧٢-البقرة]

وفى مراد الله أن تتمايز المراتب، وتتفاضل الدرجات.
وفى سنة الله أن يميز الخبيث من الطيب.
ولأن الله لا يريد أن يأتى هذا الأمر تعسفًا منه،

ولا يريد أن يفضح أحداً من عباده بلا بينة.. فإنه خلق الدنيا ليفضح كل واحد نفسه بنفسه ويعمله.

﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.
[٢ - الملك]

ليحاسب كل واحد بعد ذلك نفسه بنفسه يوم القيامة.
﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾. [١٤ - الإسراء]
وليدخل كل واحد في رتبته، ومنزلته في إقرار واقتناع،
دون أن يكون له على الله حجة.

﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾.
[١٦٥ - النساء]

﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾. [٤٩ - الكهف]

ذلك موقف الإنسان الأزلى أمام ضعفه وقوته. وتلك هي نافذة الشهوة التي تأتي منها الريح، فتكشف المخبوء وتفضح المكتوم، وتدل على ارتفاع المراتب أو انحطاط المنازل. والإنسان الحكيم يذكر ذلك، كلما وقف ذلك الموقف الذى وقفه آدم، والذي يتكرر عليه بعدد ما فى الدنيا من مفاتن ومغريات، فيجاهد نفسه ليستنهض أشرف ما فيه.

وذلك هو الجهاد الأكبر.. جهاد النفس الذى تفتضح فيه
مكانتها ومنزلتها، ومصيرها وتعرف درجاتها.
وليس أشرف ولا أنبل من ذلك الجهاد.

الحب والشهوة

عند بعض الناس الحب هو الشهوة عينها.. لأنهم يرون دائماً أن حبهم للمرأة يتداعى إلى اشتهاؤها.. ولأنهم يرون الحب والشهوة يلتقيان في لحظة الجنس، فيذوبان في سبيكة واحدة، وكأنهما معدن واحد ذو وجهين.. كل وجه يقتضى الآخر بالضرورة.

وقد رأينا الكثير من المفكرين الماديين يقولون نفس الكلام.

ورأينا رجلاً مثل فرويد يقول: بأن الحب يخرج من ينبوع الجنس، بل إنه عين ذلك الينبوع.
والفكرة خاطئة.. وهناك التباس.

وقد نشأ الالتباس من هذه اللحظة التي يتداعى فيها حب الرجل للمرأة إلى شهوة.. لحظة تذوب الحوافز وتتداخل الدوافع ويلتقى النزوع العاطفى بالنزوع الغريزى البهيمى، فى ذلك العناق الملتهب الذى يهدف إلى الإنجاب والتكاثر.

ونسوا أنها لحظة خاطفة، ماتلبث أن تنتهى بانتهاء غرضها، وتعود الحوافز فتفترق، ويمضى كل منها إلى طريق مضاد.. النزوع العاطفى الذى حركه الجمال نراه يجاوز نقطة الشهوة، ويتخطاها فى صعود إيجابى، وخطى خلاقة نحو المودة والرحمة، والتحرر النفسى والانعقاد من الظلمة البهيمية، ونحو الانطلاق من ربة الغريزة، إلى أفق العقل والوجدان والصداقة العميقة.. فى حين نرى النزوع الشهوانى ينزل إلى طريق عكسى هابط، ماضيا إلى تجديد اللذة بالسعى إلى مثيرات شهوانية جديدة، وموضوعات جنسية جديدة، بعد أن استشعر الضجر من الموضوع الأول، وبعد أن أدركه الشبع، محاولا أن يجدد الطبق ويعدد المأكولات، ثم يعود فيشبع فيقلب المائدة، ويبحث عن غيرها. وقد يهبط إلى درك الشذوذ والانحراف سعياً وراء مثيرات وهمية جديدة.. وهكذا يهبط من ظلام إلى ظلام أشد، فى نزوع شهوانى إلى محض الشهوة وبلا هدف وإنما لمجرد قصور ذاتى، وآلية مادية مودعة فى الحشوة الطينية.. فذلك

طريق هابط إلى الغلظة والآلية والعبودية والظلمة، في حين أن طريق الحب طريق صاعد إلى التحرر والانعتاق والانطلاق والنورانية، والمودة والرحمة.. وإنما جاء الخلط بين الطريقين بسبب ذلك اللقاء بين النزعتين، عند هدف مشترك في لحظة خاطفة، فخيّل للناظر في أعماق النفس أنه أمام نوعية واحدة من الشعور منبثقة من عين واحدة.. والحقيقة أننا أمام نوعيتين متناقضتين، تنبع كل منهما من عين مختلفة.. الشهوة تنبع من عين طينية مادية، والحب ينبع من عين نورانية صافية علوية.

ولهذا نرى الشهوة يمكن أن تشتعل بدون حب، بل أحياناً مع الكراهية، وأحياناً نرى الرجل يطلب إشباع شهوته بالثمن، ونرى المرأة تزاول شهوتها بالحرفة.. وكلها أمور مستحيلة في حالة الحب.. فالحب لا يشتري، ولا يمكن أن يكون حرفة أو تجارة، ولا يصح فيها تمثيل أو ادعاء.. ثم إن لحظة الشهوة تنسى بعد دقائق، على حين نرى ذكريات الحب تلازم صاحبها سنوات عمره.

والرجل الشهوانى غير الرجل العاطفى، كل منهما مزاج وطبيعة وشخصية ونمط.

وإذا فهمنا هذا عرفنا لماذا يوجد الحب أحياناً بلا شهوة، ولماذا توجد الشهوة في الكثير من الحالات

بلا حب.. ولماذا يشعل الحب الشهوة في مرحلة من العلاقة الزوجية، ثم يعود فيتخطاها إلى تعلق أكبر، وأكبر برغم فتور الشهوة وانطفائها.

والمرأة والرجل أمام موضوع الشهوة مختلفان.

فالمرأة بحكم كونها وعاء النسل، تقدر الشهوة وتحرص عليها، وتهتم بها أكثر من الرجل، ويحزنها كثيراً بل يصدمها فتور الشهوة في العلاقة الزوجية.. وهي دائماً تفسر هذا الفتور تفسيراً خاطئاً بأنه فتور للحب، وأنه انحراف وخيانة.. وتتهم نفسها وتتهم زوجها، وقد تهدم بيتها وحياتها بسبب هذه التصورات الخاطئة.

أما الرجل الناضج فهو أقل احتفالاً بالشهوة من المرأة، وهو يستريح إلى فتور هذه الشهوة، ويرى أن هذا الفتور يحرر عقله وقلبه، ويساعده على تفريغ طاقاته لموضوعات أهم.

أما المراهقون من الرجال فحياتهم هي شهواتهم، وهم أشد تعلقاً بها من النساء.. بل يكادون يكونون أطفالاً في تعلقهم بهذه اللذة.

ولا يمكن التعميم في هذه المسائل، فقد نجد المرأة الناضجة التي تخطت شهواتها، وتجاوزت ضعفها الغريزي بأكثر مما يتخطاه أى رجل.. وقد نجد الرجل الحيوان الذى

لا يرى أبعد من أعضائه التناسلية..
ولا توجد قاعدة في الحكم على الناس..
وإنما كل رجل وكل امرأة قانون في ذاته..
وقد أراد الله بالشهوة أن يمتحن إنسانية الإنسان..
والفرق بين الإنسان والحيوان هو موضوع الشهوة..
فالله أعطى الإنسان من العقل، والإرادة والهمة والبصيرة
ما يستطيع بها أن يكون سيداً على شهواته.

ولا تنكشف منازل الناس ومراتبهم إلا في لحظة الإغراء
حينما تدعوهم الشهوة في موكبها وزينتها.. وهى كعادتها
تدعو إلى الممنوع، ولا تدعو إلى المباح، وتزين الحرمات
ولا تزين الطاعات.

ويتردد الإنسان لحظة بين حافز شهوته، وبين نور
بصيرته..

يقول الله لقوم لوط:
﴿أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تَبْصُرُونَ﴾.. ألتخْتارون
شهواتكم على بصائرکم.
وكل إنسان يعمل على شاكلته، ويتصرف وفق مكانته.
وهذه هى الحكمة من خلق الدنيا.. تصنيف الناس وفق
مراتبهم.

ولكن الحب له سكة أخرى.. فبرغم أنه يلتقى بالشهوة في لحظة، فإنه ما يلبث أن يتخطاها، ويتجاوزها صاعدًا إلى المثال الأعلى وجامع الكمالات، معشوقه الحق.. الله سبحانه وتعالى.

ونحن إنما نحب في المرأة الصفات الربانية التي أودعها الله فيها.. نحب فيها الجمال، والرحمة والحنان والمودة والرافة.. وكلها تجليات الأسماء الإلهية (البديع والرحيم والودود والرءوف).

فنحن نحب الله فيها، سواء عرفنا أم جهلنا.
وكل الحب الحق هو حب لله وفي الله.
ولو كان جمال المرأة ملكها لبقى لها.. ولكنه من الله، ولهذا ما يلبث أن ينسحب عائداً إلى موطنه، وعالمه ويخلف المرأة عجوزاً هالكة، لا شكل لها ولا صورة.

وأهل الله الذين عرفوا روح المسألة، قد أراحوا أنفسهم من شهواتهم واستراحوا، وعلقوا همهم بالله.. يطلبونه في كل شيء.

وذلك هو المرتقى الصعب.
وما أسهل وصفه بالكلام.

وما أصعب تحقيقه بالسلوك.. فذلك هو الطريق..
والصراط، والدين الخالص، وقليل من الناس هم الذين
استطاعوا صعود هذا المرتقى الصعب.

الحب.. هل أصبح وثنية؟

استمعت في التليفزيون إلى العالم يغنى.
معنى الكلمات في أجمالها حمى وهذيان وهلاوس،
والحركات هستيريا ولا شيء يبقى في الذهن من هذا
المهرجان وبهرج الألوان والأنوار سوى الإحساس بأنك
أمام طقوس وثنية بدائية.. الأصنام المعبودة فيها هي.. جسم
المرأة العارى ومفاتها وأعضاؤها.. والرموز المهموسة هي
الجنس والغريزة والعطش الحيوانى بصورة وأشكاله..
ولا يخفف من هذه المعانى أن الشعر والفن وفرشاة الرسام
التشكيلي هي التي تعبر عنها بل العكس.. نراها تزيدها
اشتعالا.

والعجيب أن هذه الموضة الجديدة زحفت على إعلانات التليفزيون فتحوّلت هي الأخرى إلى لوحات غواية تستعمل نفس الأساليب.. فتضع في بؤرة أضوائها الكاشفة نفس الصنم المعبود.. جسم المرأة العارى.. تلعب به وتحركه لتصل إلى حواس المشاهد.. هذه المرة بهدف ترويج سلعة تجارية أو بضاعة.. لون غريب من التسول الجنسي الصريح.

وأغانينا ليست بعيدة عن هذه الموجة.. فنحن كالعادة نسير في الزفة ونقلد الخواجات بلا تفكير.. كل الفارق بين الديسكو الشرقى والديسكو الغربى أن حركاته أكثر كسلا وتأوهات أكثر بلادة والظاهر أن هذه الهستيريا قديمة جدا قدم التاريخ وربما نكون نحن الذين صدرناها في البداية.. وربما تكون بضاعتنا ردت إلينا فمجنون. ليلي هو شاعرنا قيس بن الملوح وهلاوس الحب الجميلة أنشدها قيس الذى خولط فى عقله؛ فجعل من ليلاه وثنا معبودا يحرق له البخور ويقدم له حياته وعقله قربانا.

ومن بعد قيس جاء ركب الشعراء الرومانسيين واستمرت السلسلة حلقة بعد حلقة حتى آخر حلقاته جيل الشعراء المرتزقة الذى يكتب أغاني الإعلانات، ويتسول الزبون والمشتري بالكلمة العارية والصدر العارى.

فهي وثنية قديمة وطقوس قديمة.

وهي عبادة بدائية تجد لها أصناماً قائمة في أثينا، ومجارب ومعايد وتمائيل للأعضاء التناسلية، وتجد منابعها في الإيقاعات الزنجية الأفريقية بين عرايا الشيلوك والدنكا والإخراج التليفزيوني يبعث اليوم هذه العبادة البدائية حية من جديد ويسخر لها أخطر وسائل الصوتيات والمرئيات، ليحاصر بها حواس المشاهد ويصوغ وجدانه صياغة قهرية غاشمة لا حيلة له فيها.

المشاهد اليوم ضحية هذا الطوفان من المؤثرات الجهنمية ولا يملك إلا أن ينساق في هذا الزار، وينزل ليتطوح فيه وجميع مراتب السن مستهدفة.. الطفل والصبي والشاب والكهل والعجوز لا أحد يملك العصمة من هذه المؤثرات، الكل ما يلبث أن ينزل الحلبة ويفقد وعيه ويفقد وقاره. هذه الوثنية الجديدة التي تعبد اللذة، وتسترخي وتنام للدغدة العاطفية تكتسح العصر كله..

ولا تملك موعظة شيخ أو محاضرة قسيس أن تقف أمام بهرج الألوان والأضواء والموسيقى الشعبانية الناعمة، وقرع الطبول الهمجية ورقص الصبايا أنصاف العاريات، وغناء داليدا المثير وفحيح الكلمات المكشوفة، والحركات الهستيرية لأنثى أفغوانية مثل كلوديا كاردنالي.

وأبلغ الأحاديث الدينية لا تصمد أمام هذا الهجوم
الحاشد على الحواس من جميع المنافذ، والمشاهد معذور
والذى يطالبه بالمقاومة يظلمه.

ومن يستطيع أن يقاوم متعة مجانية حاضرة على مرمى
زرار.

ولو أنصف المشرفون على برامج التليفزيون لخفضوا من
هذه البرامج؛ فتأثيرها هدام على جميع المستويات وفى المدى
القريب والبعيد.. وأخطر ما فيها أنها تخلق اقتناعاً ومناخاً
وفلسفة حسية، وتصوغ الوجدان على قالب سهل
لا يستهدف سوى اللذة السريعة والمكسب السهل، والريح
الجاهز واللحظة الحاضرة.. ثم تتعود النفس بعد ذلك على
اللهاث وراء اللذة وطلب المتعة من أى سبيل وبأى وسيلة..
ثم يصعب بعد ذلك فطامها عن هذه اللذات بأى وعظ
أو إرشاد.. ثم ينعكس هذا الاقتناع على مفهوم الحب ذاته
فيحوّله إلى طقس وثنى لا يطلب إلا المتاع الحسى، وتفتقر
العلاقات بين الجنسين إلى الإنسانية والقيم والمبادئ.

ولا مانع من الترفيه.. لكن بأسلوبنا وعلى طريقتنا، وفى
حدود أعرافنا وعاداتنا.

وإذا كان لابد من الاستيراد فاستيراد العلوم

والتكنولوجيا والمخترعات المفيدة أولى من استيراد هذه
المتع الخطيرة.

وكما قلت إن البلاء قديم ومبدأ اللذة موجود منذ آدم
وهستيريا العواطف سارية المفعول في كل العصور.. وقد
عثرت وأنا أقلب في أوراقى القديمة على هذه الأزجال التى
كتبتها منذ ثلاثين عاما أشكو فيها من نفس الهستيريا.

أهل الهوى ياليل حواديت جرايد.
وكلام سكارى على الكاس ومفقود وفاقد
وكركرة دخان وشيشة ومخدور ومغمى عليه.

وحلم فوق السحاب
وحورية من ياقوت
وأمر على العرش قاعد
وسيرك أوهام وشعر ومواجد
وقيس بيبكى ويغنى على روحه وهياً لنفسه كلام.
ويصدق السرح والتهويم، ويتواجد
ولو كان اتخبط فى دماغه واتجوز لما خط بيت من الشعر
من أصله ولا موال.

ولا كان كتب حاجة غير فاتورة البقال،
وما شكوت منه من ثلاثين عاماً ما زال قائماً.
والقصة قديمة والهستيريا قديمة والغواية قديمة.. ولكن

الجديد أنها اليوم مفترسة «مسلحة» بالوسائل الالكترونية ومزودة بجميع حيل الصوت، والضوء سهلة ميسرة قريبة على مرمى زرار.. وهى قد احتشدت بخيلها ورجلها وهيلانها وتجلت بكامل زينتها وبهاثها لتخلب عقل العصر كله وتلفته إلى وثنياتها وماديتها.

وما كنا فى شبابنا معرضين لمثل تلك الفتن.. وما أحوج هذا الجيل إلى الحفظ والعصمة من أولى الأمر المهيمنين على أجهزة الإعلام.

لا أقول هذا الكلام لأنى ضد الحب ولكن لأنى ضد هذا التزييف الوثنى للحب.. فالحب كما أراده الله وكما وصفه فى قرآنه هو السكن، والمودة والرحمة وهو بهذا المعنى روح الكون وهو الذى يبنى المجتمعات ويضم شمل القلوب ويجمع أشتات البشر، ويداوى الجراحات ويمحو العداوات وهو شىء آخر غير هذه الشعوزات الفنية، وحلقات الزار ومواكب الصراخ، ومشاهد الرقص البدائى وذلك العواء الذى يشبه عواء القروود فى الغابة.

إنهم يزيقون أجمل ما فى الحياة.
قد يقول قائل: إنها نوع من تفريغ الطاقة المكبوتة عند الشباب، وأنها ما تبقى للشعوب من حرية الاحتجاج

يخرجونها صراخا ونباحا وضربا بالأرجل فأقول لهم وذلك
عين التزييف للمشاعر.

وقد يقول آخر: سوف تهبط علينا هذه البراميج رغم
أنوفنا من الأقبار الصناعية، في أقل من خمس سنوات
وسوف تقتحم علينا غرف نومنا بلا استئذان ولن نستطيع
أن تحمينا منها رقابة.. فأقول هذا شيء آخر غير أن نقلدها
ونتبنائها، ونقتدى بها في برامجنا وإعلاناتنا.. إن منطق
الاقتحام بما يحمله من عدوان شيء مختلف.. له مذاق
مختلف.. وهو بطبيعته سوف يثير في النفس الحذر والتخوف
مثله مثل أى غزو أجنبى.

ثم إنى لا أدعو إلى مجرد الرفض بل إلى دخول المنافسة
بنماذج فنية أكثر جودة، وأصدق تعبيرا عن النفس والبيئة.
والمشكلة مستمرة..

هل نحن فى آخر الزمان؟

يبدو أننا نعيش الآن فى آخر الزمان.. فعجلة الحوادث فى التاريخ قد تسارعت، بدرجة لا تبشر بزمن طويل باق. فى الماضى كان التاريخ يسير ببطء سلحفائى، وكانت عجلة الحوادث بطيئة متراخية.. بين العصر الحجري وعصر اكتشاف المعادن، والتعدين عدة ألوف من السنين.. ثم أسرعت العجلة بعض الشيء، فرأينا بين عصر الحديد وعصر البخار حوالى ألف سنة.. ثم عادت العجلة فأسرعت فإذا بين عصر البخار، وعصر الكهرباء حوالى مائة سنة.. ثم عادت العجلة فأسرعت أكثر، فإذا بعصر الذرة ثم عصر الإلكترونيات، ثم عصر الفضاء تتلاحق فى بضع عشرة

سنة.. تم انطلقت العجلة تجرى في سرعة جنونية، فإذا بنا
ننزل إلى التمر، ثم نطلق إنساناً آلياً إلى المريح، ثم نسقط
منمنا إلى الزرقة.. ثم إذا باكتشاف جديد في كل يوم وليلة
وساعة.

وإذا تصورنا هذه السرعة تتضاعف، فإننا سوف ننفجر
انفجاراً في أقطار الكون الأربعة، في خلال بضع عشرة سنة
قادمة.

وسوف تضيق الأرض بسكانها، فعجله النسل والتكاثر
هي الأخرى تتسارع بلا ضابط، وفي مائة سنة قادمة سوف
يتضاعف عدد السكان عدة مرات.. ولا نرى حولنا كوكباً
قريباً يصلح للاستعمار.. إنما كلها ينقصها الهواء، والماء
والضغط الجوي المناسب، والطقس الملائم للسكنى.

ومعنى ذلك أننا سوف نعود لنتصارع على هذه الأرض
التي سوف تضيق بنا، وسوف نتقاتل بأنياب ذرية ومخالب
إلكترونية.

والغلاء الذي يتفاقم في العالم كله، يشير إلى قلة الموارد
المتاحة مع كثرة الطلب، وكمثال بسيط لننظر الآن ماذا
تكلف شقة متواضعة، أو غرفة في فندق بالنسبة لما كانت
تكلف طالبها منذ عشر أو خمس سنوات فقط؟ فكيف
يتزوج الشاب وكيف يسكن وكيف يأكل؟ ولن يكون هناك

شباب واحد وإنما ملايين وملايين يولدون ويشبون كل شهر.
وازدیاد المقدرة العلمية على استنباط وسائل الفيزياء
والتمدیر، مع تدهور الأخلاق ونقص الخیر فی النفوس یشیر
إلى ختام سریع من نوع الحروب المهلكة، والصراعات
المدمرة المفنية.

فإذا لم يكن هذا ولا ذاك، فهو حدث كوني من نوع
ما وعد الله.

﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها
أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً
كان لم تغن بالأمس﴾. [٢٤ - يونس]

ولا شك أن الأرض سوف تأخذ زخرفها وسوف تتزين
في خلال عشرات السنين القليلة القادمة، كما لم تتزين في أي
زمان آخر مضى.. وسوف يظن أهلها أنهم قد تمكنوا من كل
شيء، وقدروا على كل شيء، وقد بدءوا من الآن يظنون
بأنفسهم ذلك، فقد أسقطوا الأمطار صناعياً، ونقلوا قلوب
الموتى إلى الأحياء، وزرعوا الأجنة في القوارير، ومشوا على
القمر.. وقد تصور الإنسان نفسه إلهاً، فخرق الشرائع
وانطلق يستمتع كما يريد.

إن زمان ذلك الأمر قد اقترب إذن.

ثم إن ما ورد في الكتب المقدسة من أنه من علامات

ذلك ان زمن الأخير أن يتجمع اليهود في وطن.

يقرا. ربنا لبني إسرائيل في سورة الإسراء:

﴿وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لَبِئْسَ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء- ١٠٤]
أى اسكنوا الأرض شراذم ممزقين في الأمم (كما أشارت إلى ذلك آيات كثيرة أخرى) حتى إذا جاء وعد الآخرة جمعناكم أخلاطاً، ومن جميع الأرض وجئنا بكم لفيفاً. ويكون ذلك التجمع إيذاناً بالحرب الخاتمة، بين العرب وإسرائيل تلك الحرب التي سوف ينتصر فيها العرب ويدخلون القدس، ويدمرون ما أنشأ فيها اليهود وما عمروا:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا﴾ «أى يدمروا» ما علوا تنبيراً. [الإسراء- ٧]

وبشائر الإعداد الإلهي لذلك النصر واضحة.. فقد جمع الله في يد الأمة العربية كنوز الطاقة، ووضع أكثر مفاتيح تلك الكنوز في الجزيرة العربية، وهياً السعودية العربية لتكون أغنى ممالك الأرض في بضع عشرة سنة.

ولم يحدث ذلك بسبب عبقرية العرب ونشاطهم، وإنما حدث تسخيراً من الله الذي فجر ينابيع الطاقة في أرضهم

وسخر كل أهل العلم من إنجليز وفرنسيين وأمريكان
ليعطوا خبراتهم صاغرين، وساقهم زمراً بما جبل في نفوسهم
من حرص، وطمع في أسباب الدنيا ليكونوا رقيقاً خادماً
لاستخراج تلك الكنوز، وكانت تلك استجابة الله لدعوة
أبي الانبياء إبراهيم، حينما دعا لسكان البيت:

﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون﴾. [٣٧-إبراهيم]

وهاهي الأفئدة تهوى إلى البيت من كل مكان، والرزق
يتفجر من فوق الأرض ومن تحت الأرض.
ذلك هو الجانب الغيبي من الموضوع.

.. أما الجانب الظاهر.. فهو ذلك الثراء الذي ساعد على
نقلة حضارية هائلة، نقلت العرب إلى صف المدنية الغربية في
سنوات، ثم فتحت لهم ترسانات السلاح يأخذون منها
ما يشاءون.

ثم شرح الله صدور الشباب إلى كلمة الدين، وساق
إليهم طلائع الدعاة، فتحالفت أسماء مثل: أبو الأعلى
المودودي، وأبو الحسن الندوي ومالك بن نبي، والمهدي بن
عبود، ومتولى الشعراوى على إحياء ديني في المنطقة رافق
الإحياء المادي، وتلك كلها إرهاصات على أن هناك وثبة
قادمة.

وبعد خذلان الفكر الشيوعى المادى، وانكسار رايته فى مصر بالهزيمة والخراب الاقتصادى، لم تعد هناك راية يجتمع حولها الشباب سوى راية الإسلام.. لدرجة حملت الشيوعيين أنفسهم على التنكر فى زى الحجاج والمشايخ. وهكذا انجلت التيارات عن تيار واحد، سوف يكتسح المنطقة.. تيار مؤيد بالإمكانات المادية الهائلة والصحة الروحية التامة.. هو التيار الدينى.

فالمعركة التى وعدت بها الكتب السماوية، والأحاديث النبوية المتواترة قد ظهرت مقدماتها.. وتلك المعركة من علامات آخر الزمان، واقترب وعد الآخرة.

ومن العلامات الأخرى التى جاءت فى الكتب.. تعدد ظواهر الانحلال، والنساء الكاسيات العاريات.. والرجال بالبلوزات المشجرة، والسراويل المحزقة والوجوه المصبوغة المحففة كالنساء.. والنساء المتشبهات بالرجال فى أماكن العمل.. ثم ذلك الفجور الذى أشاعته فى العالم كله أجهزة السينما، والتلفزيون والإذاعة، وذلك العرى الفاحش فى الكلمة والفعل، ثم ما جاء على كثرة الزلازل واضطراب الطقس، وتداخل الفصول.

فإذا تركنا جانباً نبوءات الدين والكتب القديمة، وأخذنا برأى العلم وحده.. فسوف نقرأ عن هذه الظاهرة الغريبة

التي اسمها «التلوث» التي أصبحت طابع البيئة الآن في كل مكان من العالم..

لقد فسدت البيئة..

ولم يعد البيت صالحاً لسكانه.

والأمر يتفاقم والتلوث يزداد.

الهواء تلوث بثاني أكسيد الكربون، وعادم السيارات ومخلفات احتراق المصانع مثل ثاني أكسيد الكبريت وكبريتور الأيدروجين، وأكاسيد الأوزون الغازية السامة.

والماء تلوث بالكيماويات، كما تلوثت الأرض بالإشعاعات الذرية المدمرة، التي تخلفت عن تفجير القنابل الذرية في الجو، وفي الماء وتحت الأرض..

كما تلوث الماء والزرع برش المبيدات الحشرية، وبإلقاء مخلفات المصانع في مجارى الماء والأنهار.. فأصبحت الخضراوات والفواكه، وأسماك البحر والبهائم والدواب التي تأكل من هذه الخضراوات ملوثة هي الأخرى بهذه المبيدات القاتلة.. ونحن نذبحها الآن، ونأكل لحمها فنتلوث منها، ومن الخضراوات والفواكه وأسماك البحر التي نأكلها.

كما تلوث الفضاء بالأقمار الصناعية التي أُلقيت فيه بالألوف، وبالسفن الفضائية والأجسام المدارية، بلا عدد التي تلقى كل يوم للرصد والتصوير والتجسس.

وتلك الأجسام الغريبة قد أخلت بالتوازن المحكم وبالعلاقات المنضبطة، بين الشمس والأرض وبأحزمة الجاذبية وبتوزع الإشعاع، والدقائق الذرية المقذوفة من الشمس.. مما أدى إلى اضطراب الطقس الملحوظ الآن في زحف الشتاء على الصيف، وزحف الصيف على الشتاء، وانعكاس الفصول أحياناً بطريقة غير مفهومة، والبعض يقول: إن هذا أيضاً كان سبباً من أسباب كثرة الزلازل.. ويزداد هذا التلوث بازدياد التعداد السكاني، ويتفاقم بالكثرة المتضاعفة والتكدس البشرى على الأرض.

كما تزداد خطورة الأسلحة العلمية بفساد العقول والضمائر التي تستخدمها، وذلك كله يشير إلى اقتراب الكارثة، خاصة إذا لاحظنا تسارع عجلة الحوادث، ومعنى ذلك أن الطريقة التي يسير بها التاريخ تؤكد أن نبوءة العلم ليست ببعيدة عن نبوءة الدين، وأن التحليل المحايد ليتفق مع توقعات قارئ القرآن الذي يقرأ المستقبل من كتابه.

﴿أزفت الآزفة، ليست لها من دون الله كاشفة﴾

[٥٧، ٥٨ - النجم]

﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ [١٧ - الشورى]

﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾

[١ - الأنبياء]

﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابطاً﴾ [٤٠-النبأ]

هل دخلنا فى آخر الزمان؟

وماذا بقى من عمر الدنيا..؟!

هل هى عشرات من السنين.. أم أكثر؟

الله أعلم .. ولكن النذر فى الأفق.

غرفة تغيير الملابس

٤٢ قتيلا في لعبة كرة في استاد بلجيكا.
قتل بدون قضية لمجرد خلاف حول من يشجع من..
ومن يجلس هنا ومن يجلس هناك.. ومن يصفق لفريق
ليفربول ومن يصفق لفريق لوفنتوز..
وتخرج التعليقات من انجلترا تقول: إن مباريات الكرة
أصبحت مجرد مناسبات للمعارك الجماعية وشرب الخمر، وأن
لعبة الكرة لم تعد رياضة بل أصبحت مرضا.. وتقول مسز
تاتشر: إن ما حدث يعتبر وصمة عار في جبين انجلترا.
ولكن الحادث لا يمضى كحادث عادي.. بل هو مؤشر
ذو دلالة على تغيير حدث في نفوس الناس.. تصعيد غير

مفهوم لردود الفعل العادية لتصبح قتلا وذبحا بلا سبب
وبلا مبرر حتى في مناسبات الرياضة والترويح والترفيه.

لماذا نعجب إذن لما يجري على ساحة العالم بين السيخ
والهندوس في الهند، وبين التاميل والأغلبية في سيريلانكا
وبين السود والبيض في جنوب أفريقيا، وبين الفرقاء في
لبنان من أهل الدم الواحد والدين الواحد واللغة الواحدة..
ثم النار المستعرة في قلب الخوميني وآيات الله في إيران
لا تقبل هدنة ولا مصالحة ولا ترضى بما دون القتل.

ثم موسيقى الوترية الهادئة الجميلة أيام زمان التي
تحولت إلى هستيريا الديسكو وضجيج النحاسيات
الصاخبة.. والشباب الذي يسير في مظاهرات ليشعل
الحرائق ويدمر ويخرب.

ثم جيوش السوفيت تسحق بالدبابات شعبا أعزل في
أفغانستان وتصب النابالم على قراه وتحرق زروعه ولا يرتفع
من الشاطئ الذي يسمى نفسه اليسار الإسلامي صوت.
ثم الألوف من الأقليات المسلمة في بلغاريا يلقي بها في
السجون وتعذب وتقهر على تغيير أسمائها أو تموت.

ثم الابن يقتل أبويه والأم تقتل أولادها والشباب يدمن
المخدرات والطائرات تخطف، والرهائن تعذب والعربات

الملغومة تفجر ومئات الأبرياء يقتلون تحت شعارات مزيفة
ولا فتات كاذبة.

ماذا حدث بطول العالم وعرضه؟ ما هذا الغل والضعف
الذى تطفح به النفوس فى عصر الوفرة والألكترونيات
والمشى على القمر، والميكنة الزراعية وارتفاع الدخيل بين
الزراع وأهل الحرف والأعمال اليدوية.

كيف انقلب يسر العيش عسرا، والوفرة كمدا وجريان
المال نقمة، والعلم جاهلية والتقدم قساوة وكيف أصبح
للفوضى مؤسسات وللقتل نقابات وللجريمة دول؟

أهو الإفراز الطبيعى لحضارة مادية لا تؤمن إلا باللحظة
فيتقاتل الكل على الفوز بتلك اللحظة بالمخلب والناب
ويتنافس الكل نهبا وسرقة وغشا.. فلا محاسبة ولا مراقبة
ولا عقاب لمن يقلت، ولا بعث بعد موت والعالم كنوزه
مستباحة، وخيراته لا حارس لها ولا صاحب.

فما بال آلاف المآذن وآلاف الكنائس وآلاف
المحاريب.. وحلقات الذكر وأصوات التمتمة والمحممة.
أهى كلمات لا تتجاوز اللسان ولا تتخطى الحناجر.
وكثرة تقول ما لا تفعل وتفعل ما لا تقول.. والقلوب
خاوية على عروشها والنفوس خراب شغلها الشاغل المادى
والمكسب والخسارة، وإن كان لسانها يقول شيئا آخر..

نعم..

الحضارة المادية غزت القلوب وغزت النفوس، وسكنت
النيات وأتلفت أكثر أهل الدين. فما عادوا أهل دين بل
أهل دنيا.

المادة وراء هذا اللهاث.

وجنون المكاسب وراء هذا الزحام والتدافع بالأكتاف
والاستهانة بكل عرف وخلق؛ والتسابق إلى اللذات ونسيان
كل شيء إلا حصاد اللحظة وراء هذا الفساد الذى يكاد
يقتلع الإنسانية من جذورها.

ولحظة بلحظة يجرى الإيقاع المجنون، وتتابع مشاهد هذه
المسلسلة الهابطة.. العالم ١٩٨٥.. كما نراها فى النشرات
الأخبارية وكما نقرأها فى الصفحات الأولى من الجرائد
وكما نتأهدها فى التلفزيون.. بل إن أجهزة الإعلام تسهم
بأكبر نصيب فى خلق هذا الجوع المادى، وهذا الشبق
الحسى عند الناس وتروج له بالروايات والمسلسلات
والنشرات الإعلانية.. والفيديو يقود الموكب اللاهث والكل
يجرى وراء لا شيء.

أحيانا أتمنى لو توقف هذا الطوفان من الهرج والمرج
وأخذ الناس إجازة من هذا اللهاث، ولو إجازة مرضية
يقضونها فى فراشهم يتأملون ويحاسبون نفوسهم وينظرون

من بعيد إلى شارع الحياة.
وقفة بأمر المخرج الكوفى.. سكوت.. صمت..
كلاكيت.. انتهى التصوير.. يهدم الديكور.. ويمهد بناؤه
للمشهد القادم.

الرؤساء والسلاطين والأباطرة يخلعون ملابسهم
ويرتدون ملابس الخدم.. والخدم يلبسون طيالس البورك..
الكهنة يخلعون تيجان الذهب ويضعون أقنعة الخمر
والخنازير. الحكماء يرتدون ملابس السوق، والسوقة
يجلسون فى منصات القضاء.
وأسأل نفسى أحيانا..

ترى هل اقتربنا من تغيير المناظر بالفعل؟
وهل أشرف المشهد الدرامى على نهايته؟
وأتحسس ثيابى مرتاعا وأتساءل.
ترى من أكون فى المشهد القادم..!؟

أنشودة حب للذى خلق

سمعتهم يتحدثون عن الحب.

ويغنون للحب..

ويحلمون بالحب..

ويتكلمون عن الشفاء والحدود والنهود، ويرتلون
التسابيح في جمال لبنى، ويركعون على أعتاب لمياء،
ويسجدون في محراب ليلي.

فلما حدثتهم عنك يا إلهى أشاحوا بوجوههم عنى، وكأنى
أزعجتهم من حلم.

وما دروا أنهم ما سجدوا إلا في محرابك، وما سبحوا
إلا لجمالك، وما ركعوا إلا لك، وإن جهلوك وأنكروك

وكفروا بك.. فما ظهرت المحاسن إلا عنك، ولا بدت
الجماليات إلا بجمالك، وما سحرتهم ليلي إلا بمفاتنك،
وما أسكرتهم العيون إلا بسرّك، وما أذهلهم بالحق إلا
وجهك.. فما ثم إلا وجهك.. تقدّس وجهك عن الأسماء.

ومن هي ليلي، ولبنى، وسعدى، ولياء؟؟!

إن هي إلا أسماء نقشتها رياحك على بحرك، وغداً
تنقش لنا أسماء أخرى وأخرى.. وكلها إلى زوال، وأنت
أبداً إلى بقاء يا بحر الجبال والمحبة.. والذين عرفوك
وعبدوك وأحبوك، وغرقوا فيك وحدك قد أحبوا الحب
الجميع المجتمع ورشفوا من البحر كله، وسبحوا في الباقي،
واعتصموا بالحى وسجدوا للحق، وركعوا للموجود أبداً
ودائماً سبحانه يا من له الحب كله..

حدثتهم عنك يا إلهى وهم فيك ومنك وإليك، فما عقلوا
عنى، وحجبتهم نفوسهم عن نفسك، وأغماهم ختم اللحظات
التي ختمت بها على قلوبهم عن سرّ أبدك.. فعجلوا إلى نزوة
اللحظة.. وما عجلوا إلا إلى العدم..

ولو كشفت لهم النقاب لوجدوا الأبد مطلاً بعينيه من
وراء اللحظات، ولرأوا جنتك تتألق من خلف السراب
ولأنشدوا لوجهك مع العارفين المغرمين..

ولولا ليل شعرك ما ضللنا ولولا صبح ثغرك ما اهتدينا
وأثنينا على أوصاف لبي ومعنى غير حسنك ما عني
فما ثم إلا معنك..
وما ثم إلا وجهك..

أنت سبحانك النور الذي تنورت به كل المظاهر، ولو
اكتمل بصر الرائي ما رأى إلا نورك.. ولما زاغت منه العين
في الخصور، والصدور والنهود والقودود والحدود. ولما رأى فيها
إلا نوافذ، ومشارف إقلاع يطير منها إليك.. ولما وقف عندها
يلثمها، كما يلثم الوثني نحاس الأضرحة، ويسكب دمع
العدم ليشربه العدم..

صدق من قال بحبك..
وكذب من قال بحب سواك..
وكذبتة روحه يوم القيامة..
وندمت يدها وقدماه فما زرع إلا الهواء.. وما حصد إلا
الهواء.. وما تنور إلا بالظلمة.. وما تبرد إلا بالنار..
سیدی.. مولای.. ملیکی..

ما بیدی شیء..
ما بملکی شیء..
ما بوسعی شیء..

إلا ما أردت وأودعت واستودعت..
إليك أرد كل الودائع... لأستثمرها عندك في خزينته
كرمك..

إليك أرد أبدع ما أبدع قلمي فهو جميلك. وإليك أرد
علمي وعملي، واسمي ورسمي فهو عطاؤك، وإليك أسلم
روحي وقلبي ونفسي، وجسدي فالكل من خلقك..

ثم أسلم لك اختياري..

ثم أسلم لك سري..

ثم أسلم لك حقيقتي.. وهي أنا..

وحسبي أنت..

زكني يا رب، وطهرني بإلهامك ورضاك لأكون يوم اللقاء
من أهلك، وخاصتك وخلانك.. لأكون كاتبك في الآخرة..
كما جعلتني كاتبك في الدنيا.. ولأكون خادمك، وكاتم سرك
وحامل أختامك، وعبدك المقرب المتحبيب إليك بتضحية
نفسه.

هتك الستر

غاية ما يطمح إليه الحبيب أن يصل إلى المكاشفة التامة مع حبيبه، وأن تزول بينها المسافة، وأن يصبح هو هي وهي هو، وأن ينتهي السر، ويهتك الحجاب. وهو وهم شائع.

وخطأ بات من كثرة التداول حقيقة مسلماً بها. فلو انتهك الحجاب بين اثنين لانتهى الحب بينهما فوراً، فالحب قرب وليس فناء.. وهو تلامس أسرار، وليس تعرية وانكشافاً.

هل تحب أن يدخل عليك أحد «التواليت»؟! وماذا يكون شعورك وأنت ترى أحداً يطلع عليك وأنت

تباشر هذه الضرورة؟

ومع ذلك فهي حقيقة.. نحن نأكل.. ونحن نتبول..
ونحن نخرج فضلات.

ولنا لحظة شهوة نكون فيها أكثر عبودية؛ وبالتالي أكثر
خجلاً من أنفسنا.

ومن هنا جاءت كلمة العورة.. وكلمة الستر.. فذلك
ضعف لا نحب أن نطلع أحداً عليه.. برغم أنه أمر معروف
ومشترك فينا جميعاً.

ثم إن الحب عاطفة تهفو، وتشب وتتطلع طالما كان هناك
فضول.. وتشتعل طالما كان هناك سر.. فالسر يشعل
الخيال.. والخيال مادة الحب وخامته.. وبدون خيال لا يبقى
إلا تبادل المصالح وإشباع الغرائز.

الخيال هو الشعر والوهم والأحلام.

الخيال جناحان يطير بهما الحب ويعلو على الواقع،
وبدون هذين الجناحين يقع الحب ويتحطم، ويجف ويذبل
ويتكسر على أرض المصالح.

وإذا كنت تحرص على دوام حبك، فلا تحاول أن تقتحم
هذه الأرض الحرام بينك وبين من تحب.. لا تحاول أن تهتك
ستره.. لا تحاول أن تفتح دماغه أو تدخل قلبه.

ولهذا قال الله :

﴿ولا تجسسوا﴾.

لأن الله أراد لكل واحد منا أن تكون له خصوصية لا تنتهك. وسر بينه وبين ربه لا يطلع عليه إلا ربه. ولكل منا وجه إلى الناس، ووجه إلى الله.. وذلك الوجه الثاني هو سره.

وانتهاك هذا الوجه عدوان، وطمع من الحبيب فيما ليس له.

ولهذا أشعر دائماً بأن من يحاول أن يقتحم المسافة بيني وبينه باسم الحب.. إنما يفعل ذلك بحكم الكراهية وليس الحب.. فهو يريد أن يلتقط لى صورة فى التواليت، ويسجل على الوسائس التى لا تليق بى.. ويحاول أن يفضحنى.

وذلك هو الحب الأنانى الذى يريد فى واقع الأمر أن يتخلص منى، ويستهلكنى ويستنفدنى ويقضى على. وتلك هى القسوة المقنعة التى نتبادلها باسم الحب.. والعدوان الذى نباشره باسم العشق.

ولهذا ضرب الله لنا مثلاً على الكمال باسمه «العزیز».. فهو سبحانه العزیز الذى لا ينال.

وعلى من يريد أن يكون كاملاً أن يكون هو الآخر
عزيراً لا ينال.

فالعزة والمنعة من صفات الكمال.
والشيوخ والانكشاف من صفات الابتذال.
ومن هنا وجب أن تكون هناك مسافة بين الأحياء، وأن
يكون الحب قريباً وليس اقتحاماً.

وتلك المسافة هي التي أسميها الاحترام.. حيث يحترم
كل واحد سر الآخر، فلا يحاول أن يتجسس عليه.. ويحترم
ماضيه ويحترم ما يخفيه في جوانحه، ويحترم خصوصيته
وخلوته وصمته، ويحاول أن يكون سترًا وغطاء، لا هتكًا
وتدخلًا وتلصصًا ونشلًا.

فالحب عطاء اختياري حر، وليس مصادرة قهرية وسلبيًا
واغتصاباً.

وفي هذه الحرية جوهر الحب.
والله يقول عن عطاء الأسرار والعلم الذي يعطيه
لعبيده:

﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

[٢٥٥-البقرة]

وتلك هي العزة فالله يعطي ما شاء من علمه لمن شاء..

لا يستطيع أحد أن يغتصب منه ما لا يريد.
وبالمثل الكاملون أهل الرحمة والمودة، وأصحاب
الأخلاق الربانية لا يحبون أن يغتصبوا، ولا أن تنتهك
أسرارهم.. وإنما يحبون أن تظل لهم الحرية يعطون من
أسرارهم ما شاءوا لمن شاءوا، وهم بالمثل لا يفكرون في
انتهاك سر أحد أو اغتصابه.
وتلك هي المسافة المقدسة.

وذلك هو الحمى الخاص لنفوسنا، لا يصح أن يطمح
أحد في دخوله أو فضحه، ومن يفعل هذا يقتل الحب
ولا يحييه.

وحول هذا الحمى يجب أن نقيم نطاقات عديدة من
الأسلاك الشائكة، ونطلق العديد من كلاب الحراسة ونبنى
نقاطاً للإنذار المبكر.

فذلك قدس أقداس الذات الذى لا يصح أن يطلع عليه
أحد إلا رب الذات وخالقها، لأنه وحده الرحمن الرحيم
الذى يرحم الضعيف، ولأنه وحده الغفور الكريم الذى قال
لنا إنه يغفر الذنوب جميعاً.

﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور
الرحيم﴾.
[٥٣-الزمر]

ولهذه الرحمة الشاملة، والمغفرة الكلية كشفت له الذات وجهها دون خوف، في حين احتجبت عن العالمين.

ولهذا نقول: إن الله يحب عبده الصالح الراجع إليه، أكثر من حب الأم لابنها، وأكثر من حب الحبيب لحبيبه، وأكثر من حب الراعى لشاته الضالة حين يراها عائدة إليه.

وكيف لا يحبنا من نفخ فينا من روحه، وأسجد لنا ملائكته، وسخر لنا أكوانه وفتح للمذنبين منا كنوز مغفرته؛ بل نظلمه إذا ساوينا بين حبه وأى حب من هذه الهزليات التي نقرؤها عن روميو وجوليت وقيس وليلى.

بل لا يساوى حرماننا من حبه حرماننا من أى حب ولا حرماننا من أى غال.

ولا يساوى غضبه علينا أى غضب.

وعلى خطايانا يجب أن نبكى حقاً، وليس على أى هجر أو أى فراق، أو أى مرض أو أى موت، وذلك حال الذين قدروا الله حق قدره.

وما يستطيعون.

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾. [٦٧-الزمر]

لأنه لا أحد يستطيع أن يحيط بنعمه وعطاياه ومحامده. ولهذا حمد نفسه بنفسه وقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

لأنه لا يقدر على الحمد حقًا إلا من أحاط بالأفعال
الكريمة كلها، والمحامد كلها .. وذلك أمر لا يعرفه عن الله
إلا الله ذاته.

ولهذا قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

فهو الحامد المحمود.

وهو وحده المستحق للحب الكامل دون العالمين.
وحسبنا نحن أن نتبادل من الحب المودة والرحمة.
وحتى على هذا لا يقدر إلا القادرون.

فهرس

صفحة

٣ المرأة السكس
٩ وجاء عصر القروء
١٥ الحب فى عالم متغير
٢١ الحب لا.. الرحمة نعم
٢٩ متى يكون الحب جهلا
٣٥ من هى المرأة الفاضلة
٤١ عن الشهوة
٤٩ الحب والشهوة
٥٧ الحب.. هل أصبح وثنية
٦٥ هل نحن فى آخر الزمان
٧٥ غرفة تغيير الملابس
٨١ أنشودة حب للذى خلق
٨٥ هتك الستر

صدر للمؤلف

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| ٢٣- الغاية | ١ - الله والإنسان |
| ٢٤- مغامرة في الصحراء | ٢ - أكل عيش |
| ٢٥- المدينة (أو حكاية مسافر) | ٣ - عنبر ٧ |
| ٢٦- اعترفوا لي | ٤ - شلة الأنس |
| ٢٧- ٥٥ مشكلة حب | ٥ - رائحة الدم |
| ٢٨- اعترافات عشاق | ٦ - إبليس |
| ٢٩- القرآن محاولة لفهم عصري | ٧ - لغز الموت |
| ٣٠- رحلتى من الشك إلى الإيمان | ٨ - لغز الحياة |
| ٣١- الطريق إلى الكعبة | ٩ - الأحلام |
| ٣٢- الله | ١٠- أينشتين والنسبية |
| ٣٣- التوراة | ١١- فى الحب والحياة |
| ٣٤- الشيطان يحكم | ١٢- يوميات نص الليل |
| ٣٥- رأيت الله | ١٣- المستحيل |
| ٣٦- الروح والجسد | ١٤- الأفقون .. (سيناريو) |
| ٣٧- حوار مع صديقى الملحد | ١٥- العنكبوت |
| ٣٨- الماركسية والإسلام | ١٦- الخروج من التابوت |
| ٣٩- محمد | ١٧- رجل تحت الصفر |
| ٤٠- السر الأعظم | ١٨- الإسكندر الأكبر |
| ٤١- الطوفان | ١٩- الزلزال |
| ٤٢- الأفقون .. (رواية) | ٢٠- الإنسان والظل |
| ٤٣- الوجود والعدم | ٢١- غرما |
| ٤٤- من أسرار القرآن | ٢٢- الشيطان يسكن فى بيتنا |

- ٤٥- لماذا رفضت الماركسية
٤٦- نقطة الثليان
٤٧- عصر القروود
٤٨- القرآن كائن حَيّ
٤٩- أكذوبة اليسار الإسلامى
٥٠- نار تحت الرماد
٥١- المسيح الدجال
٥٢- أناشيد الإثم والبراءة
٥٣- جهنم الصغرى
- ٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
٥٨- وبدأ العد المتنازلى
٥٩- حقيقة البهائية
٦٠- السؤال الحائر
٦١- سقوط اليسار

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	قصص مصطفى محمود
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	روايات مصطفى محمود
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	مسرحيات مصطفى محمود
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	رحلات مصطفى محمود

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

١٩٩٢ / ٤٤٤٩	رقم الإيداع
ISBN 977-00-3373-1	الترقيم الدولى

١ / ٩٢ / ١٥٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائماً على غنيم الأعمال
الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى
محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم. . فأثرى
ساحة الفكر والعلم. . وطرق أبواباً جديدة لم تفتح من
قبل. . فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية
وأدب الرحلات. . إلى جانب تلك المؤلفات التي تحفل
بالنظرات المعاصرة للفكر الديني والمقارنة بالنظرات
العلمية الحديثة. . والتي لاتزال تنير مزيداً من الجدل
المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى
القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض
أعماله إلى اللغات الأجنبية ساهمة بقدرته على العطاء
المتنوع.

To: www.al-mostafa.com